جلب السعادة عبادة

كيف نستثمر موارد السعادة

في المرحلة الجديدة؟

تــأليـــف

د. محمد بن بشر القباطـــي

١٤٤٥هـ

٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

خطة البحث:

المقدّمة

الفصل الأول: مقدمات في إنتاج السعادة

الفصل الثاني: موارد السعادة المعنويّة والحسيّة.

الفصل الثالث: تدريب القلوب على مهارات إنتاج السعادة والرضا.

الخاتمة

المقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أولي العزم أئمة الهدى، أكمل السعداء، وسادة العدول الشهداء، وعلى من اتبع منهاج النبوّة وأحسن الاقتداء، وبعد: فإن ثمّة **شعيرتين من شعائر الله** يفرّط فيهما كثير من المؤمنين:

الشعيرة الأولى: شعيرة الفرح بفضل الله وبرحمته، وهذه **الشعيرة** ترافق المؤمن في كلّ أحواله، ولا تفارقه، ففي السراء نشكر الله تعالى على ما أنعم به علينا ونفرح، وفي الضراء نصبر ونرضى بما قسم الله لنا، ونفرح بمعيّة الله تعالى ولطفه بنا، ونستبشر بوعده الكريم للصابرين.

أيها الكرام، إن تعمير القلوب بالفرح بفضل الله وبرحمته **فريضة**، قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1]، وقد أنزل الله تعالى كتابَه العظيم، وبعث رسوله عليه أفضل الصلاة والتسليم لهداية الناس إلى سبيل السعادة والفوز والفلاح، ووقايتهم الشقاء والخسران والمنغِّصات في الدارين، قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ

[1] سورة يونس الآيتان (٥٦)

مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾[1]، قال العلامة ابن القيم: "الهدى والسعادة متلازمان، والضلال والشقاء متلازمان"[2].

أصحابَ السعادة، إن إمداد القلوب بالسعادة عبادة، وإن الفرح بفضل الله وبرحمته **مؤشّر نجاح الإنسان وفلاحه** في حياته كلّها، وكلما اعتنى الإنسان **بمؤشّر السعادة والرضا** في حياته الخاصّة وعلاقاته ومعاملاته ودعوته وإرشاده، ازداد ذكرًا لله تعالى وشكرًا ونجاحًا وفلاحًا؛ فإن السعادة والرضا والفرح بفضل الله وبرحمته قوتُ القلوب وقوّتُها، وقلوبنا مثلُ "هواتفنا" تحتاج إلى شحن مستمرّ بالطاقة، وإلى مراقبة دائمة لمنسوب السعادة والرضا فيها، فقد ينفد الزاد بغتة؛ لنازلة طارئة، فلا بدّ لنا من مدَدٍ دائمٍ من تيار السعادة والرضا نتزوّد منه، وننتفع به في ساعة العُسْرة، فأين نجد الموارد الكافية لإمدادنا بالسعادة والرضا؟

لقد أكرمنا الله تعالى في هذه الدنيا بما لا يحصى من النِّعَم المادّيّة والمعنويّة والأسباب التي تنفعنا وتسعدنا، وهدانا إليها، ويسرها لنا، فالحياة الدنيا عامرة بموارد السعادة والرضا، وفيها أسباب أُخَر تضرّ ولا تَسُرُّ، وقد حذرنا الله تعالى منها ونهانا عنها، وذلك ابتلاء منه لنا بالخير والشرّ، فمن سلك طريق الخير وأحسن استثمار موارد السعادة والرضا التي لا تحصى، سعِد ورضي،

[1] سورة طه الآيتان (١٢٣-١٢٤)
[2] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، تفسير القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال– بيروت، ط١، ١٤١٠ ه، ص١٨

ومن سلك طريق الشرّ، وشغل نفسه بالمنغِّصات تكدّر عيشه وشقيَ.

ولقائل أن يقول: إذا كانت موارد السعادة والرضا بهذه المقادير التي لا تحصى، فلماذا نرى هذا النقص في منسوب السعادة والرضا لدى أكثر الناس؟

الجواب: السبب هو الإعراض عن استثمار **موارد السعادة**، فإن أكثر الناس لا يستثمرون عشر معشار ما لديهم من موارد السعادة والرضا! بل أكثرهم يأبى استثمار موارد السعادة، ويصرّ على سلوك مسالك الشقاء والمعيشة الضنك، فقد أوهنت قلوبهم حمى المادّية الجافية؛ حتى غدت نفوسهم أفقر ما تكون إلى مَن يقدّم لها ما يسعدها ويسرّها، ويدفع عنها ما يشقيها ويضرّها.

ولقد ودِدْتُ لو أن الرعاة والدعاة **نَبَذوا** المنغّصات، ونَفَذوا بهذا الوحي الكريم إلى كلّ قلب عامر بالحياة؛ ليَصِلُوا العبادَ بمنابع النور والسرور؛ فترتوي القلوب من السعادة والرضا وحبّ الله تعالى، فلا تظمأ أبدًا، أسأل الله الكريم الوهّاب أن يعيننا جميعًا على استثمار **موارد السعادة والرضا**؛ لنقي أنفسنا وأهلينا ومجتمعنا نار المنغّصات والمكدّرات، ونعمر الحياة بالفرح بالله

تعالى والسعادة بولايته وآلائه، والرضا بما قسم لنا، فلا نبأس ولا نيأس.

الشعيرة الثانية: شعيرة تبشير المؤمنين بما يسعدهم ويُفرحهم ويسرّهم من نِعَم الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا﴾[1]، **فتبشير المؤمنين فريضة، وهو وظيفة** من أعظم وظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقد وجدنا أول أمر صريح في المصحف بصيغة المفرد موجهًا للرسول عليه الصلاة والسلام هو الأمر بتبشير المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[2]، فالواجب علينا أن نبشّر المؤمنين بالجنّة ونعيمها، ونبشرهم بما وعد الله تعالى عباده المؤمنين من الولاية والحفظ والإكرام وبما يحبونه من النصر والفتوحات والتمكين في الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

أيها الكرام، إني لأبشركم بوعد الله تعالى العظيم: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[4].

---

[1] سورة الأحزاب الآية (٤٧)
[2] سورة البقرة الآية (٢٥)
[3] سورة الصفّ الآية (١٣)
[4] سورة النحل الآية (٩٧)

إن البشريّة كلّها قد دخلت **مرحلة جديدة**، وقد أشرقت في سماء الأمة المسلمة شمسُ عصر عامر بالبشرى والسراء، وفُتح لنا بهذه المُستجدات الجارية في العالم ممراتٍ واسعة، وشقّ لنا طريقًا في البحر يبسًا، ومدّ لنا جسورًا؛ لنعبر عليها إلى المستقبل قادة للعالمين، فالواجب علينا أن نتقدّم على بصيرة؛ لعمارة المرحلة الجديدة بالبرامج السديدة التي تمكّننا من استثمار **موادّ المنهج المقرّر** (الرسالة الخاتمة)، و**موارد الكون المسخّر**، فالبشريّة كلّها اليوم تلميذة بين يدي حملة الإسلام ودعاته الأبرار؛ ليقدّموا لها **المعرفة الأصيلة، والحلول البديلة**، ويرتقوا بها في **معارج السعادة والفلاح ذاكرة شاكرة**.

وقد جمعت في هذا البحث أفانين من لطائف المعارف وكرائم العواطف ونظمتها في سلك واحد؛ لضبط **"بوصلة الحياة الطيّبة" بموازين الكتاب والسنة**.

وإني لأشكر الله الكريم الوهاب الذي جمعنا في رحاب هذا الكتاب؛ لنؤدي فريضةَ الفرح بفضل الله وبرحمته معًا.

اللهـم اجعلنـا مَفَـاتِيحَ لِلْخَيْـرِ مَغَـالِيقَ لِلشَّـرِّ، ونعـوذ بـك أن نكـون مَفَـاتِيحَ لِلشَّـرِّ، مَغَـالِيقَ لِلْخَيْـرِ[1]، ﴿رَبَّنَـا تَقَبَّـلْ مِنَّـا إِنَّـكَ أَنْـتَ السَّـمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2].

والحمد لله ربّ العالمين.

محمد بن عبده بن محمد القباطي،

مدينة تعز[3].

[1] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: "إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ، مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ"، رواه ابن ماجه، ح٢٣٧، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ح ٢٢٢٣

[2] سورة البقرة الآية (١٢٧)

[3] وقد ألقيت بعضَ مضامين هذا الكتاب في دورة "الإرشاد الإيجابي المستدام" التي أقيمت في مدينة الغيضة للداعيات والمرشدات (٢٦ مشاركة) بالتنسيق مع مكتب الأوقاف/ محافظة المهرة عام ١٤٤٤هـ.

الفصل الأول: مقدمات في إنتاج السعادة

حقيقة السعادة:

السعادة[1] هي ما يجده الإنسان في قلبه من الانشراح والرضا والفرح بطاعة الله تعالى وبما قسمه من النعم والأرزاق الحسيّة والمعنويّة، والسعادة رزق عظيم من رزق الله تعالى، ونعمة من أكرم النعم، يقْسمها الله تعالى لعباده وفق مشيئته وسنته في تقسيم الرزق، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[2]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3].

من أسرار علم إنتاج السعادة:

هلمّ إلى **سياحة لطيفة في دار السعادة**؛ لتتذوّق لذة السعادة العليّة، ولتتزوّد من أطيب ألوان السرور والحبور؛ فهلمّ لْنُطْلِقْ أجنحة قلوبنا دقائق؛ لنسرح ونعم ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[4]، ﴿فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾[5]، ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾[6]، فما أطيب تلك المنازل، وما أحسن حال النازلين إذا أخذوا مجالسهم ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ * مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا

---

[1] انظر: ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط ١٩٧٩، ج٧٥/٣

[2] سورة الذاريات الآية (٥٨)

[3] سورة آل عمران الآية (٣٧)

[4] سورة الحاقّة الآيتان (٢٢-٢٣)

[5] سورة الزخرف الآية (٧١)

[6] سورة محمد الآية (١٥)

مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾[1].

هناك تزفّ إلى القادمين من الدنيا أزواج مطهرات قد أنشأهنّ الله تعالى خالصات للتوادّ، والإسعاد، ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾[2]، ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[3]، فهنّ مشغولات بإسعادهم افتراقًا واجتماعًا، وهم مشغولون بهن نظرًا وسماعًا واستمتاعًا، في لذات دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة، ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ * سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾[4].

أرأيت يوم قدومك على تلك الخيام، و"إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرَوْنَ الْآخَرِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ"[5]؛ لتتنعم في المتكأ والمفترش بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب

---

[1] سورة يس الآيات (١٥-٢٦)
[2] سورة الرحمن الآية (٥٦)
[3] سورة الواقعة الآيات (٣٥-٣٧)
[4] سورة يس الآيات (٥٥-٥٧)
[5] رواه البخاريّ، ح٤٨٧٩

بشـر، تسـتقبلك الحوريـة بأجمـل ترحـاب، وتغنيـك "بِأَحْسَـنِ أَصْـوَاتٍ سَـمِعَهَا أَحَـدٌ قَـطُّ، إِنَّ مِمَّـا يُغَنِّـينَ: نَحْـنُ الْخَيِّـرَاتُ الْحِسَـانُ، أَزْوَاجُ قَـوْمٍ كِـرَامٍ، يَنْظُـرْنَ بِقُـرَّةِ أَعْيَـانٍ، وَإِنَّ مِمَّـا يُغَنِّـينَ بِـهِ : نَحْـنُ الْخَالِـدَاتُ فَـلا يُمِتْنَهْ، نَحْنُ الآمِنَاتُ فَلا يَخَفْنَهْ، نَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلا يَظْعَنَّهْ"[1].

أفرأيت كيـف ابتهجـت قلوبنـا واسـتراحت نفوسـنا، فـي هـذه السـياحة الجميلـة التـي اسـتغرقت دقـائق معـدودات، فمـا أسـعد القلـوب بتلـك الوعود، وبما أعده الله لنا في دار الخلود!

إن هـذه التجربـة اللطيفـة تفصـح عـن حقـائق ثمينـة، وتقـدّمُ لنـا خلاصـة علـم لا غنـى لنـا عنـه لنحيـا حيـاة طيّبـة ألا وهـو علـم إنتـاج السعادة والرضا، ومن تلك الحقائق:

- أن السـعادة منـتج قلبـيّ يحصـل بسـبب مثيـرات حسّـيّة أو معنويّـة ينفعـل بهـا القلـب، فالسـعادة تزيـد بتحصـيل المنـافع وتكميلهـا، وتعطيـل الشـرّور وتقليلهـا، وتـنقص بفـوات المنـافع وتقليلهـا وحصول الشرور والمنغّصات وتكثيرها.

فعلـى الإنسـان أن يراقـب المثيـرات الـواردة علـى قلبـه، ويتتبـع أحـوال قلبـه، وانفعالاتـه ومشـاعره، ويضـبطها ويـتحكّم بمنافـذ قلبـه، فـلا يـأذن للمنغّصـات أن تـدخل عليـه مـا اسـتطاع، وليختـرْ الأسـباب التـي تسـعده وليعـرض عمّـا يحزنـه ويقلقـه، فمـن أهمـل قلبـه، أصـبح

[1] رواه الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، ح٤٩١٧، قال الشيخ الألباني: صحيح، صحيح الجامع، ح١٥٦١

قلبه ريشةً في مهبّ رياح المثيرات تقلّبها كيف شاءت، فالسعادة تزيد وتنقص وفق نظام السببيّة، تزيد بزيادة تفعيل الأسباب التي تنتج السعادة، وتنقص بالأسباب التي تنتج البؤس وتُتلِف السعادة.

-أن حاجتنا إلى السعادة تتفاوت حسب الظروف التي نعيشها، وظروف الحياة متقلبة، وإنه لتمرّ بنا أحوال نحسّ وكأن قلوبنا ملئت سعادة، ونودّ لو أنها تدوم ولا تنقطع، ثمّ تأتي من بعدها ليالٍ شداد يطفحن بأصناف من المنغصات التي تعكّر صفو الحياة.

- أن تيسير وصول الناس إلى ما يفتقرون إليه وما يسدّ حاجتهم من السعادة، والرضا، والطمأنينة، والأمن النفسيّ مقصد شرعيّ عظيم، وتعلّم منهاج النبوّة لإنتاج السعادة وصيانتها ضروريّ؛ لتحرير القلوب مما يرهقها ويحزنها ويشقيها من الانفعالات والمشاعر؛ حتى نستقلّ ونستغني بما لدينا من موارد.

والاستغناء عن الناس شعبة من شعب الإيمان، وشعيرة من شعائر الإسلام، "وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ"[1]، والأحاديثُ الشريفة الآمرة بالاستعفاف والاستغناء عن الناس كثيرة[2].

[1] البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، ح١٠٠٥٨ وقال الألباني: حسن لغيره.
[2] انظر: ابن رجب الحنبليّ، عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٤هـ، ج٨٩٢/٢.

إن العقلاء لا يعيشون عالة يتكففون الناس بواعثَ السعادة كما يتكفف الفقراء أقواتهم، بل يبذلون جهدهم؛ ليستثمروا ما يسّر الله تعالى لهم من الموارد؛ لإنتاج ما يسعدهم ويؤنس قلوبهم، ويفيض على حياتهم الأسرية مودة ورحمة، وعلى الأرحام برًّا وصلة، ويغمُر المجتمع أمنًا وإيمانًا، وسلامًا وإسلامًا، وتعارفًا، وتعاونًا على البرّ والتقوى.

- أن أسباب السعادة موجودةٌ بين أيدينا بالمقادير الكافية لإسعادنا إذا ما أحسنّا استثمارها، وأكثر القلق والهمّ والحزن والضنك لا ينشأ عن قلة موارد السعادة لدى الناس بل بسبب التخّلف، والجهل بالطرق الصحيحة لاستثمار تلك المواد. وأسعدُ الناس أكملُهم علمًا بطرق استثمار هذه الموارد، وأفضلُهم عزمًا، ويتقدّم هؤلاء السعداءَ أولو العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ لأنهم أحسن الناس اتباعًا لما أنزل الله تعالى من الهدى، وأفضلهم استثمارًا لما يسّر الله تعالى لهم من موارد السعادة في الحياة الدنيا.

ومن قلّ علمه ووهن عزمه، أدركه الشقاء، فالعلم والعزم هما جسر العبور إلى خزائن السعادة في الدنيا والآخرة.

جلب السعادة عبادة:

سعيُ العقلاء كلِّهم منحصر في جلب الأفراح واللذات وفي درء الغموم المؤلمات، فمنهم من يطلب الأعلى من ذلك فالأعلى، وقليل ما هم. ومنهم من يقتصر على طلب الأدنى، ومنهم الساعون في المتوسطات[1].

وأسباب الفرح والسعادة ألوان وأنواع متفاوتة، منها ما يجب الفرح به، ومنها ما يندب الفرح والسرور به، ومنها غير ذلك، ومنها الطيّب ومنها الخبيث، ومنها النفيس، ومنها الخسيس، وإن أشرف الفرحِ هو الفرح الذي جعله الله تعالى فريضة، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2]، وفضْلُ الله تعالى ورحمته يشمل كلّ فضل من الله تعالى ورحمة، وأعظم فضْل الله تعالى علينا ورحمته: الإسلامُ، والقرآنُ والسنّة[3].

"وإنما أمر الله تعالى بالفرح بفضله ورحمته؛ لأن ذلك مما يوجب انبساط النفس ونشاطها، وشكرها لله تعالى، وقوتها، وشدة الرغبة في العلم والإيمان الداعي للازدياد منهما"[4].

---

[1] انظر: العزّ، عبد العزيز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط:١؛ مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، ١٩٩١ م، ج١/ ١١.

[2] سورة يونس الآيتان (٥٦)

[3] انظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ، ج٢/٣٣٥

[4] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص٣٦٦

والقلوب في الدنيا متقلبة بين السراء والضراء، والعاقل من يعيش حياة السعادة والفرح والسرور والطمأنينة ما استطاع، ويدرأ المنغِّصات وأسباب الشقاء والحزن والهمّ ما استطاع، فيدفع قدَر الضرّاء بقدَر السراء، فالظمآن يرويه الماء، والجوع يُدفع بالطعام، والحزن يدفع بأسباب الفرح، والهمّ يدرأ بأسباب الطمأنينة، ولكلّ داء دواء علمه من علمه وجهله من جهله، **فاملأ قلبك بالشكر والصبر تسعد،** عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"[1].

أيها الكرام، إن **السعادة من أمّهات المنافع،** فما شرع الله تعالى الشرائع إلا ليسعد الناس في دنياهم وأخراهم، وقد بيّن القرآن الكريم هذه الحقيقة، قال الله تعالى: ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾[2]، قال العلامة السعديّ: "ليس المقصود بالوحي، وإنزال القرآن عليك، وشرع الشريعة لتشقى بذلك، ويكون في الشريعة تكليف يشق على المكلفين، وتعجز عنه قوى العاملين، وإنما الوحي والقرآن والشرع، شرعه الرحيم الرحمن، وجعله موصلا للسعادة والفلاح والفوز، وسهله غاية التسهيل، ويسر كل طرقه وأبوابه، وجعله غذاء للقلوب

[1] مسلم، ح٥٣١٨
[2] سورة طه الآيات (١-٣)

والأرواح، وراحة للأبدان"[1]، وقال العلامة فاضل السامرائيّ في مطلع دراسته لسورة طه: "محور السورة يتمثل في الآية الأولى من السورة (طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى)[2]، وكأنه سبحانه يريد أن يطمئن رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأمته من بعده أن هذا المنهج لم يأت؛ حتى يشقى الناس به، إنما هو منهج يضمن السعادة لمن تبعه وطبّقه، وإنما هو تذكرة وهو سبب السعادة في الدنيا والآخرة، فلا يعقل أن يكون المؤمن شقياً كئيباً مغتمّاً قانطاً من رحمة الله مهما واجهته من مصاعب ومحن في حياته وخلال تطبيقه لهذا المنهج الربّاني، فلا بد أن يجد السعادة الأبدية بتطبيقه. وهذا هو هدف سورة طه. وهذا المنهج الذي أنزله الله تعالى لنا إنما جاء من عند (الرحمن) فكيف يعقل أن يكون فيه شقاؤنا"[3].

إن القرآن الكريم كلّه كتاب إرشاد وإسعاد، قال الله تعالى: ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، هدى يرشدنا إلى سبل السلام والسعة، والسعادة، ويقينا سبل الضلال والضنك، وهو بشرى تحدونا في مسيرتنا، وتسقي قلوبنا رحيق السعادة، وتطفئ نار القلق والشقاء والمشقّة، فمن عرف الحقّ

---

[1] انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م، ص٥٠١

[2] سورة طه الآيات (١-٢)

[3] انظر: السامرائيّ، فاضل، لمسات بيانية لسور القرآن الكريم، المكتبة الشاملة، ج١/ ٢

[4] سورة النمل الآيتان (١-٢)

واتبع الهدى، سعد بهذا الدين، وذاق طعم الإيمان، ومن شادّ الدين، أشقى نفسه، وشقّ على المسلمين، وعاش في شقاق بعيد، وقد بيّن الله تعالى هذا المعنى بقوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾[1].

[1] سورة طه الآيتان (١٢٣-١٢٤)

منهاج النبوة أقوم منهاج لمضاعفة الإنتاج:

إن منهاج النبوة أقوم منهاج لمضاعفة إنتاج السعادة والرضا، وهو ما كان عليه أسعد خلق الله تعالى، وسيّد السعداء محمّد عليه الصلاة والسلام، فأسوتنا معاشر المسلمين في إدارة أسباب السعادة هو رسولنا محمدٌ عليه الصلاة والسلام، فقد ملأ رسولنا صلى الله عليه وسلم حياة أهله وأصحابه سعادة ورضا؛ فمدار منهاج النبوّة على نفع الناس وإدخال السرور على القلوب وعمارة الأنفس والبيوت والمجتمع بالخير والسعادة والرضا، وقد حثّ رسولُنا عليه الصلاة والسلام العبادَ على ما يملأ حياتهم بالسعادة والرضا.

وهذه أصول جامعة تعيننا في هذه المرحلة على حسن اتباع منهاج النبوّة:

- **الأول:** تجديد فقهنا لمقاصد الدين؛ حتى يتوافق تديُّننا مع الفطرة، وما أجمل عبارات الإمام ابن تيميّة إذ يقول: "فإن الرسل عليهم الصلاة والسلام بعثوا بتقرير الفطرة وتكميلها لا بتغيير الفطرة وتحويلها، والنفس إنما تنال **كمالها بسعادتها ونجاتها** بالفطرة المكملة بالشرعة المنزلة"[1]. وقال رحمه الله تعالى: "وَلِهَذَا كَانَتْ الرُّسُلُ إنَّمَا تَأْتِي بِتَذْكِيرِ الْفِطْرَةِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ

[1] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الصفدية، محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط٢، ١٤٠٦هـ، ج ١٥٧/٢

لَهَا وَتَقْوِيَتِهِ وَإِمْدَادِهِ وَنَفْيِ الْمُغَيِّرِ لِلْفِطْرَةِ. فَالرُّسُلُ بُعِثُوا بِتَقْرِيرِ الْفِطْرَةِ وَتَكْمِيلِهَا لَا بِتَغْيِيرِ الْفِطْرَةِ وَتَحْوِيلِهَا. وَالْكَمَالُ يَحْصُلُ بِالْفِطْرَةِ الْمُكَمَّلَةِ بِالشِّرْعَةِ الْمُنَزَّلَةِ"[1].

ومن هذا التأصيل المبارك يتضح أن أفضل المسالك؛ لإسعاد العباد وإبعادهم عن المنغّصات والمهالك هو الدخول على القلوب من أبواب الفطرة بالأمن والإيمان والعدل والإحسان.

إن وظيفتنا معاشر الدعاة والمرشدين هو تجديد الفطرة ونزع ألغام المنغِّصات من قلوب الناس **وإزاحة "مُسِيْلات الدموع"** عن دروبهم؛ فإن المنغِّصات والمبكيات **تعذيبٌ** للأنفس يوهن العزائم ويحول دون رؤية الفرص، والله تعالى غنيّ عن تعذيبِنا أنفسَنا، ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[2]، وعَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَأَى شَيْخًا يُهَادَى بَيْنَ ابْنَيْهِ، قَالَ: "مَا بَالُ هَذَا" قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ، قَال: "إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ"[3]، فقد نذر هذا الشيخ أن يمشي على قدميه إلى الكعبة.

- **الثانية:** اتباع منهج التعاون **والتتميم؛ لاستكمال خصال الفطرة** الكريمة، ونبذ ثقافة المناقضة والمعارضة والتحطيم، فإن منهج التتميم يحافظ على الخير الموجود، ويضيف المفقود والمنشود

[1] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، ٢٠٠٥م، ج ٣٤٨/١٦
[2] سورة النساء الآية (١٤٧)
[3] رواه البخاريّ، ح١٨٦٥، ومسلم ح٤٣٣٦.

بالحكمة والرحمة، ويقي الممانعة والمقاومة والمنازعة التي تستهلك الطاقات والأوقات، وتشغلنا عن تحقيق مقاصدنا وأولوياتنا، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"[1]، وفي رواية "إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ"[2]، ومن أعجب الموازنات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم مع كمال غيرتهم على حرمات الله تعالى لم يحطّموا صنمًا في مكة إلا عام الفتح، ولم يمنعوا أحدًا من الطواف بالبيت الحرام عريانًا إلا في حجة الوداع؛ وما كان ذلك منهم صدفة، بل حكمة ورحمة، وما أزالوها إلا حين أضحى زوالها أعظم رحمة ونعمة ونورًا وسرورًا.

إن الله تعالى لم يبعث الرسل عليهم الصلاة والسلام في **بيئات معقّمة** من المعاصي طاهرة من الذنوب والعيوب، بل أرسلهم إلى أممهم الغارقة في الكفر والفساد والعناد، فأمرهم بدعوتهم والاتصال الدائم بهم؛ ليجددوا فطرتهم بالشرعة المنزّلة، ويسعدوهم في الدنيا والآخرة، فما بالنا مستوحشين متفرقين، قد اعتصم كلّ فريق منا بأسماء وصفات تحول بينه وبين إخوته المؤمنين، وتصرفه عن التعاون على هداية البشرية.

---

[1] رواه أحمد في مسنده ح ٨٩٥٢، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد ح ٢٧٣ وصححه الألباني.

[2] رواه البزار في مسنده ح ٨٩٤٩، وصححه الألباني في السلسلة ح٤٥

إن اتباع منهاج النبوّة هو العاصم، وقد أدركت بعد طول نظر ومراجعة أن سبب إضاعة كثير من الطاقات والأوقات والوقوع في التقاطع والتنازع واجتراح كثير من الأخطاء والخطايا هو **القصور والتفريط في اتباع منهاج النبوّة، فأن فقه الاتباع هو قطب رحى السعادة والسعة**، وأن الإخلاص بغير اتباع سديد رشيد لا يقي صاحبه الشقاء؛ لأن التديُّن لا يسعد أهله؛ حتى يكون موزونًا بموازين منهاج النبوّة في الاستقامة والدعوة، موافقًا لما كان عليه خير أسوة عليه الصلاة والسلام، فمن لم يفقه منهاج رسول الله في تطبيق الأحكام، واتباع سبل السلام، وقع في الضيق والحرج، وشقي وأشقى غيره.

لقد خالطت تدّين كثير من الدعاة أدواء لم يفطنوا لها، أحالت حلاوة الإيمان قطعة من العذاب، فإذا نصحهم ناصح بترك تعذيب أنفسهم، قالوا: "يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر"[1].

ـ **الثالثة:** تجديد نظام التعليم والإعلام: بتحريره من القيود، وتطهيره من الضلال، وتنويره بالوحي، وتطويره؛ ليتوافق مع نظام السنن الإلهية ومنهاج النبوّة.

[1] الترمذيّ، سنن الترمذيّ (٢ / ٤٢)، صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ح ٨٠٠٢

ـ **الرابعة:** إغلاق الملفات القديمة العقيمة، والعفو عمّا سلف، فلا عتب ولا تثريب، والرفق بالمخالفين الذين يأبون أن يبرحوا مواقعهم، ويصرون على المفاصلة والمنازعة، وليجدوا فينا معاشر المرشدين رحمة وحكمة، وأمانًا وإحسانًا.

ولو يعقل الناس ما الذي سيربحونه لو أنهم استثمروا موارد السعادة وفق منهاج النبوة، ما تخلّف عنه أحد منهم.

العلماء صِمام أمن علم السعادة:

مستقرُّ السعادة ومستودعها وسط بين الإفراط والتفريط، والشيطان يشقي الناس بفتنتي **الإفراط والتفريط**، فمن وجده مائلًا إلى الغلو والتشدّد جنح به **للإفراط** فغلا، وشقي، وأشقى، ومن كان مائلًا إلى الإهمال والتفريط، تفلّت به، وأرخى له زمام الأهواء، فهوى به في قاع سحيق.

ولا يصلح حال الناس إلا إذا تولّى إرشادهم وهدايتهم ذوو الإخلاص والحكمة والفقه في الدين، فإن وجودهم ضروريّ لاستقامة الأمة على الهدى ودين الحقّ، واستدامة الأمن والسعادة والتنعم بطيبات الحياة.

وتفريط العلماء في أداء واجبهم سببٌ لظهور الفتن، وضنك الأمة وشقائها؛ لأن الناس إذا لم يجدوا العلماء يتخذون الأدعياء الجهّال أئمة يهدونهم سبل الشقاء والضلال، وقد حذّرنا رسولنا عليه الصلاة والسلام من عاقبة فقدهم، وخطر قبضهم، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"[1]،

[1] رواه البخاريّ ح ١٠٠، ومسلم ح٤٨٢٨

فالعلماء هم الذين يبصرون الناس بسبل تطبيق الرسالة بالحكمة والرحمة؛ حتى يسعدوا، وقد أمرنا الله تعالى بسؤالهم، فقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، ومن سأل العلماء، فقد اهتدى وسعِد، ومن أعرض عن العلماء فقد أعرض عن الذكر وشقي، قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ **ذِكْرِي** فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾[2].

[1] سورة الأنبياء الآية (٧)
[2] سورة طه الآيتان (١٢٣-١٢٤)

التعليم إسعاد وعمارٌ أو إشقاء ودمار:

إن التحولات الضخمة التي نعيشها نحن والبشريّةُ اليوم تستوجب تطوير قدراتنا على اكتشاف موارد السعادة وحسن استثمارها؛ لإنتاج ما نحتاج إليه من السعادة والرضا والطمأنينة والعزم، ولإزاحة المنغّصات والمكدّرات التي ترادفت ضغوطها على القلوب، وأكلت نار فتنتها خيرات الشعوب.

والتعليم الرشيد السديد أعظم موارد السعادة، وأهمّ أسباب الحياة الطيّبة، والتعليم في العالم كلّه مفتقر ومضطر إلى التجديد والترشيد والتسديد، فأكثر الناس اليوم يدرسون غير الهدى المقرّر عليهم، وفي كثير من بلاد المسلمين أطِّر التعليم بأطر متخلّفة تضرّ بأمور الدين والدنيا، فقد ضُرِبت عليه القيود والأغلال، ونخرته أمراض الغشّ والتزوير والتضليل، وصارت الشهادات غاية الغايات، والتخلّف والتعاسة ثمرة الدراسات.

لقد تألّم مالك بن نبي من حال المبتعثين قائلًا: "حين كان الطالب الياباني يذهب إلى الغرب في أواخر القرن الماضي، كان يذهب؛ ليتعلم التقنية، مع الحفاظ المتشدّد على أخلاق بلاده، كما سيذهب بعده التلميذ الصيني المتواضع (نَسْيَانُ هَمَّاسِين)؛ ليتعلم في مختبر "جوليو كوري" بباريس؛ ليعود إلى بلاده بالمعلومات النووية التي تدهش العالم اليوم، بينما غالب ما يحدث للطالب

الـذي يـذهب مـن بلادنـا أن يعـود بشـهادة، ولكـن بعـد أن يتـرك روحـه فـي مقـاهي وخمـارات الحـي اللاتينـيّ، أو النـوادي الموجـودة بسـان جِرمَـان"[1]، فكيـف لـو شـاهد مـا يجـري للتعلـيم اليـوم فـي كثيـر مـن ديار المسلمين.

إن الـدين والعقـل والفطـرة والواقـع كـلّ أولئـك يفـرض علينـا المبـادرة إلـى إعـادة إعمـار التعلـيم وفـق المعـايير الصـادقة الصـائبة؛ لإعـداد الأنفـس المطمئنـة والقلـوب السـليمة الراضـية، وذلـك علـى مراحل:

الأولـى: مرحلـة التحريـر، وذلـك بفـكّ الآصـار والأغـلال والقيـود المضـروبة علـى الـنظم التعليميّـة؛ حتـى تتوافـق مـع متطلبـات الـدين والدنيا.

الثانيـة: مرحلـة التطهيـر، وذلـك بـالتخلّص مـن النظريّـات والأفكـار التي لا تتوافق مع الفطرة البشريّة.

الثالثـة: مرحلـة التنـوير، وذلـك بصـبغ التعلـيم بصـبغة الله تعـالى وهـداه، فـالمنهج الربّـانيّ المقـرّر علـى العبـاد يجـب أن يدرسـه العـالم كلّه؛ ليسعدوا.

الرابعـة: مرحلـة التطـوير، وذلـك بإضـافة كـلّ نـافع مفيـد مـن العلـوم والمنتجات الحديثة في جميع المجالات والتخصصات.

[1] ابن نبي، مالك، بين الرشاد والتيه، دار الفكر المعاصر- بيروت، ص١٢١-١٢٢

ثراء القلوب:

إن ثـراء القلـوب بالسـعادة لا يقـدّر بمـا فـي الجيـوب؛ فكثـرة مـوارد السـعادة لا تُسـعد صـاحبها إذا لـم تُسـتثمر، "لَـيْسَ الْغِنَـى عَـنْ كَثْـرَةِ الْعَـرَضِ وَلَكِـنَّ الْغِنَـى غِنَـى الـنَّفْسِ"[1]، فالسـعادة التـي تسـتمتع بهـا فـي حياتك هي معيار غناك وفقرك.

إنّ سـيّد ولـد آدم -صـلى الله عَلَيْـهِ وَسـلم- كـان ينـام علـى الحصـير، ومـا شـبع يـومين متتـالين مـن خبـز الشـعير، وكـان أسـعد النـاس باسـتثمار المـوارد النفيسـة الكريمـة ممـا قسـمه الله تعـالى لـه مـن فضـله ورحمتـه، ﴿أَهُـمْ يَقْسِـمُونَ رَحْمَـتَ رَبِّـكَ نَحْـنُ قَسَـمْنَا بَيْـنَهُمْ مَعِيشَـتَهُمْ فِـي الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَرَفَعْنَـا بَعْضَـهُمْ فَـوْقَ بَعْـضٍ دَرَجَـاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2].

إن كثـرة الأمـوال والأولاد إن لـم تسـتثمر بـالتي هـي أحسـن فـي جلـب السعادة، تنقلبْ مصدر قلق وهمّ وغمّ.

إنّ السـعادة تـزداد بتنفيـذ مـا دلّنـا عليـه الرسـول -صَـلَّى الله عَلَيْـهِ وسَـلَّمَ- مـن أصـول القـوة المعينـة علـى اسـتثمار مـوارد السـعادة، وذلـك مـا وردنـا عَـنْ أَبِـي هُرَيْـرَةَ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ -صَـلَّى الله عَلَيْـهِ وسَـلَّمَ-: "الْمُـؤْمِنُ الْقَـوِيُّ خَيْـرٌ وَأَحَـبُّ إِلَـى اللَّهِ مِـنْ الْمُـؤْمِنِ

[1] رواه البخاريّ، ح٦٤٤٦، ومسلم ح٢٤٦٧، والْعَرَض: كلّ مال غير النقود، ويسمى عرضًا؛ لأنه عارض يَعرِض ويظهر في وقت ثم يزول.
[2] سورة الزخرف الآية (٣٢)

الضَّـعِيفِ وَفِـي كُـلٍّ خَيْـرٌ احْـرِصْ عَلَـى مَـا يَنْفَعُـكَ وَاسْـتَعِنْ بِـاللَّهِ وَلَا تَعْجِـزْ وَإِنْ أَصَـابَكَ شَـيْءٌ فَـلَا تَقُلْ لَـوْ أَنِّـي فَعَلْـتُ كَـانَ كَـذَا وَكَـذَا وَلَكِـنْ قُـلْ قَـدَرُ اللَّهِ وَمَـا شَـاءَ فَعَـلَ فَـإِنَّ لَـوْ تَفْـتَحُ عَمَـلَ الشَّـيْطَانِ"[1]، فهـذه أصول القوة:

الأصـل الأول: "احْـرِصْ عَلَـى مَـا يَنْفَعُـكَ"، وذلـك فـي أمـور دينـك ودنيـاك، فالسـعادة تـزداد بجلـب مـا ينفـع ودفـع مـا يضـرّ، والمنـافع متفاوتـة الـدرجات والرّتـب، فمنهـا الضـروريّ ومنهـا التكميلـيّ، وكـذلك المفاسـد متفاوتـة، والحـرص علـى مـا ينفـع فـي الـدنيا والآخـرة يسـتوجب العلـم برتـب المنـافع والمصـالح والمفاسـد، وكلمـا ازداد حـظُّ الإنسـان مـن فقـه الأولويـات والموازنـات، ازداد معرفـة بالأحسن والأهمّ عندما تتزاحم عليه المنافع والمضارّ.

الأصـل الثـاني: "وَاسْـتَعِنْ بِـاللَّهِ"، والاسـتعانة بـالله تعـالى تسـتوجب فعل مـا أمرنـا الله تعـالى بـه، وتـرك مـا نهانـا عنـه، فـالله تعـالى وحـده القـادر علـى النفـع والضـرّ فـي كـلّ حـال، فعَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ، قَـالَ: كُنْـتُ خَلْـفَ رَسُـولِ اللهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ يَوْمًـا، فَقَـالَ: "يَـا غُـلَامُ إِنِّـي أُعَلِّمُـكَ كَلِمَـاتٍ، احْفَـظِ اللَّهَ يَحْفَظْـكَ، احْفَـظِ اللَّهَ تَجِـدْهُ تُجَاهَـكَ، إِذَا سَـأَلْتَ فَاسْـأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْـتَعَنْتَ فَاسْـتَعِنْ بِـاللَّهِ، وَاعْلَـمْ أَنَّ الأُمَّـةَ لَـوْ اجْتَمَعَـتْ عَلَـى أَنْ يَنْفَعُـوكَ بِشَـيْءٍ لَـمْ يَنْفَعُـوكَ إِلاَّ بِشَـيْءٍ قَـدْ كَتَبَـهُ اللَّهُ لَـكَ، وَلَـوْ اجْتَمَعُـوا عَلَـى أَنْ يَضُـرُّوكَ بِشَـيْءٍ لَـمْ يَضُـرُّوكَ إِلاَّ بِشَـيْءٍ

[1] رواه مسلم ح٤٨١٦ إِحْرِصْ بِكَسْرِ الرَّاء، (وَتَعْجِز) بِكَسْرِ الْجِيم، وَحُكِيَ فَتْحهمَا جَمِيعًا، كما ذكر العلّامة النووي.

قَـدْ كَتَبَـهُ اللَّهُ عَلَيْـكَ، رُفِعَـتِ الأَقْـلاَمُ وَجَفَّـتْ الصُّـحُفُ"[1]، فـأمر الحـديث بحفـظ حـدود الله تعـالى والقيـام بحـقّ الله، وحسـن الاسـتعانة بـه وحـده، وقـد ذكـر الإمـام ابـن تيميـة فوائـد عظيمـة لهـذا الحـديث، فقـال: "فَهَـذَا يَـدُلُّ عَلَـى أَنَّـهُ لَا يَنْفَـعُ فِـي الْحَقِيقَـةِ إلَّا اللَّهُ وَلَا يَضُـرُّ غَيْـرُهُ، فَمَـنْ سَـلَكَ هَـذَا الْمَسْـلَكَ الْعَظِـيمَ اسْـتَرَاحَ مِـنْ عُبُودِيَّـةِ الْخَلْـقِ وَنَظَـرِهِ إلَـيْهِمْ وَأَرَاحَ النَّـاسَ مِـنْ لَوْمِـهِ وَذَمِّـهِ إيَّـاهُمْ وَتَجَـرَّدَ التَّوْحِيـدُ فِـي قَلْبِـهِ، فَقَـوِيَ إيمَانُـهُ، وَانْشَـرَحَ صَـدْرُهُ، وَتَنَـوَّرَ قَلْبُـهُ، وَمَـنْ تَوَكَّـلَ عَلَـى اللَّهِ فَهُـوَ حَسْـبُهُ"[2]، وقـد أعجبنـي هـذا الاسـتنباط الرائـع وأخـصّ مـن ذلـك قولـه رحمـه الله تعـالى: "وَأَرَاحَ النَّـاسَ مِـنْ لَوْمِـهِ وَذَمِّـهِ إيَّـاهُم"، فقلـت فـي نفسـي: مـا أحوجنـا إلـى أن نرفـع شـعار **"لا لـومَ بعـد اليـوم"**، فإنـه سـيفتح لنـا أبوابًـا واسـعة إلـى رحـاب السـعادة، ويجنبنـا كثيـرًا مـن المنغّصـات. ولمـا بـدأت أركّـز علـى هـذا الأمـر، هـالني مـا رأيـت مـن ضـياع الطاقـات والأوقـات وإثـارة المنغّصـات والمكدّرات بسبب **لوم الآخرين، وكثرة التثريب والمعاتبات.**

الأصـل الثالـث: "وَلَا تَعْجِـزْ"؛ لأن العجـز والـوَهْن مـن أبشـع الظـواهر الجالبـة للشـقاء بسـبب تعطيـل الطاقـات والمـوارد، والواجب بذل الوسع في طلب المنافع ودفع المضارّ.

---

[1] رواه التِّرْمِذِيُّ ح٢٥١٦، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[2] انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، ٢٠٠٥م، ج١/ ٩٣ بتصرف يسير.

الأصل الرابع: "وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ" وهذا القول يجلب الرضا بقدر الله تعالى وبما قسمه الله تعالى.

والصحابة أقوى الأمة إيمانًا وأحسن الناس استثمارًا لموارد السعادة التي أتانا بها رسولنا عليه الصلاة والسلام، وإني ليذهب بي قلبي كلّ مذهب حينما أفكّر في حياة الصحابة رضي الله عنهم، ترى كيف كانوا يستثمرون موارد السعادة الواردة في القرآن الكريم والسنة؟ وكيف سعِدوا وأسعدوا الناس بهما؟ وحينما أقيس أحوالنا بأحوالهم تتبدّى أحوالنا كحال الأقزام عند أقدام العمالقة العظام، وإني لأظنّ أن ما كان يجده قلبُ سيدنا أبي بكر الصديق من الرضا والسعادة و**العلم والإيمان** في قيام ليلة واحدة ليسعُ أمّة من أمثالنا.

أسعِدْ تُسعدْ:

يزداد المؤمن قوة وسعادة ببذل النفع للآخرين وإدخال السعادة عليهم: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[1]، وسأذكر في هذا الموضع بعض الأحاديث المتعلقة بإسعاد الآخرين، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ"[2]، وفي حديث آخر: "قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: "أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تَدْخِلُهُ عَلَى مُؤْمِنٍ، أو تَكْشِفُ عَنْهُ كَرْبًا، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا"[3].

وعَنْ أبي موسى الأشعريّ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، أَوْ لَمْ يَفْعَلْ قَالَ فَيُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ قَالَ فَيَأْمُرُ بِالْخَيْرِ، أَوْ قَالَ بِالْمَعْرُوفِ قَالَ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ قَالَ فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ"[4]، وانظر كيف تجاوز رسولنا عليه الصلاة والسلام أسباب الحزن في أضيق منزل نزله هو وصاحبُه أبو بكر رضي

---

[1] سورة الرحمن الآية (٦٠)

[2] رواه البزار في مسنده، ح٨٥٤٤، وحسنه ابن حجر، فتح الباري: ج١٠/ ٤٥٩.

[3] ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد، قضاء الحوائج، ح٣٦، وحسنه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ح٩٠٦

[4] رواه البخاريّ، ح٦٠٢٢

الله عنه كما أنبأنا الله تعالى بقوله: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، فقد كان سببَ الحزن في الغار شيءٌ عظيم، ولا يمكن دفع الهمّ والحزن الذي نزل بقلب الصديق إلا بسبب عظيم يبعث على السكينة، وهو ما هدى إليه النبيُّ عليه الصلاة والسلام صاحبه الصديقَ بقوله: "إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا"، فالأحزان الشديدة لا تدفع إلا بأسباب قويّة مناسبة.

والبشريّة اليوم تدخل مرحلة جديدة تضيء في سمائها فرصٌ عامرة بالخيرات، وتفور من تحت ظلالها عيونُ المَسرّات، فقد عسعس ليل الضلال والضنك، وتنفّس صبح الهدى والسراء، فالدول التي علت في الأرض هي نفسها تنزف اليوم بغزارة، وتَستفرغ قدراتِها بمرارة، والعقلاء في مشارق الأرض ومغاربها يلتمسون نورًا، والنور التامّ الذي يحتاجون إليه للخروج من **ظلمات الشقاء** بين أيدينا.

إن التخلّف الذي يشقي الناسَ اليوم نوعان:

[1] سورة التوبة الآية (٤٠)

الأول: التخلّف عن الانتفاع بالمنهج المقرّر من ربّ العالمين منهجِ السعادة والرحمة والفلاح، فإن أكثر الناس في هذا العصر يدرسون مناهج تعارض المنهج الذي قرّره ربّ العالمين، فلا يسعدون، قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾[1]، فكلّ المقررات من الأديان المحرفة والمناهج المزيّفة عاجزة عن إسعاد البشريّة، ومن ارتضى المناهج المختلقة الملفقة وأعرض عن هدى الله تعالى، فقد شاقّ الله العزيز الحكيم، وأشقى نفسه.

ولو أن العقلاء والخبراء درسوا ما ورد في كتاب الله وسنة نبيّه، وما وضعه الله تعالى فيهما من البراهين الساطعة والحجج القاطعة، وعقدوا المقارنات بما عندهم من المناهج، لعلموا علم اليقين أن هدى الله هو الحقّ المبين، وأن الخير والسعادة والفلاح في اتباع المنهج الذي فرضه الله تعالى وارتضاه لعباده.

الثاني: التخلّف عن استثمار موارد الكون المسخّر، فلو أن الناس تعاونوا على استثمار ما سخّره الله تعالى من خيرات وموارد بشريّة ومادّية، واقتسموا ثمارها بالعدل والإحسان، وشكروا الكريم المنّان، لوجدوا فيما فتحه الله تعالى لهم من خزائن الأرض، وزينتها، ومتاعها ما يكفيهم ويسعدهم جميعًا، لكنهم

[1] سورة طه الآيتان (١٢٣-١٢٤)

اتبعـوا الطمـع فتنافسـوا، وتظـالموا، وكفـروا نعمـة الله تعـالى إلا قلـيلًا منـهم.

مؤشر السعادة والرضا:

إن **مؤشر السعادة** والرضا من أهم مؤشرات **الصلاح والنجاح** في الحياة، وقد بَلَغَ رسولنا عليه الصلاة والسلام الدرجات العُلى في العناية بسعادة الناس، فأرشد وأسعد، ورعى قلوب الرّعية حقّ الرعاية، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[2].

إن مراقبة مؤشر السعادة والرضا في دعوتنا وعلاقاتنا وفي أمورنا كلّها يمنحنا الفرصة؛ لاستكمال النقص في منسوب الرضا والسعادة قبل وقوع الخلل، ويقينا مباغتة الأزمات التي تشقي الأنفس، وتفرق القلوب، وتمزّق الأسر، وتخرّب الديار، وتحطم المؤسسات والشركات، وتفضّ الجماعات.

[1] سورة التوبة الآية (١٢٨)
[2] سورة آل عمران الآية (١٥٩)

انظر إلى من هو أسفل منك تسعدْ:

من علم إنتاج السعادة النظر في أمور الدنيا إلى من هو دونك ومن هو أقلّ منك مالًا وولدًا، عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ"[1]، وعَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ"[2].

[1] رواه البخاريّ، ح٦٤٩٠، ومسلم، ح٧٦١٧
[2] رواه مسلم، ح٥٢٦٤

املأ ساعات الانتظار بلطائف الاستبشار:

أسعد السعداء لا ينتظرون وصول السعادة إليهم **على أحرّ من الجمر**؛ لأنهم على درب السعادة سائرون ذاكرون شاكرون، فإن التنعّم بالموجود وشكر المنعم خيرُ زادٍ في طلب المنشود والبحث عن المفقود، ومن لم يسعد بالموجودات، تعذَّب بطلب المفقودات والمنشودات.

إن أسعد السعداء يحسنون استثمار ما لديهم من موارد السعادة في كلّ وقت وفي كلّ مكان يكونون فيه؛ لينتجوا من تلك الموارد المتاحة مقادير كبيرة من السعادة، فيستمتعون بمواردهم، وينعمون بها، ويفرحون بما قسم الله تعالى لهم ويشكرونه، فيعيشون حاضرهم وواقعهم سعداء بالموارد الموجودة، وينطلقون سعداء إلى غاياتهم العالية المنشودة، يعبُرُون إليها على جسر الاستبشار والأشواق الحسان المحفوفة بظلال ذكر الله تعالى، والرجاء الجميل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ

تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَة"[1].

[1] رواه البخاريّ، ح٧٤٠٥، ومسلم ح٢٦٧٥

التجديد والتحسين الدائم:

من أصول علم إنتاج السعادة والرضا أن التجديد والتحسين الدائم في الحياة ولو بالشيء اليسير سببٌ لإثارة منابع الشكر وتجديد السعادة في القلوب، فلو تقدّمْت كلّ يوم خطوة واحدة؛ لتغيّر مجرى حياتك[1]، ولا تحقِرَنَّ من التجديد والتحسين شيئًا، فالتحسين القليل الدائم خير من كثير منقطع، ومَن أبى الديمومة فساعةً وساعةً، وإياك ومحقّرات الشرور والذنوب، فإنها تُشقي.

والتجديد الدائم مورد من موارد السعادة في دار النعيم والسعادة الدائمة، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- قَالَ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا "[2]، فالتجديد من أصول السعادة الكونية والشرعية، فقد جرت سنّة الله في تغيير أحوال الناس في هذه الحياة بالنقص والحرمان كما جرت بالزيادة والامتنان، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[3].

---

[1] انظر: روبرت موريز: "خطوة صغيرة واحدة قد تغير مجرى حياتك"، ومن أهمّ المقترحات العمليّة التي ركّز عليها الاعتماد على التحسين المستمر بالقليل الدائم؛ للحصول على تغييرات كبيرة؛ لأن فعل القليل سهل ولا يثير المخاوف ولا المقاومة التي تمنع التغيير.

[2] رواه مسلم ح٥٠٦١

[3] سورة الأنبياء الآية (٣٥)

وفي الترهيب عظات موقظات مسعدات:

قلت لصديق: ما أسعدنا بنعم الله تعالى المتجدّدة المتوالية! فقال: عن أيّة نِعَمٍ تتحدث؟ ألا ترى ما نحن فيه؟ مضت سنون، ونحن في حصار خانق، ولم يتقدّم الوضع شبرًا واحدًا، بل يزداد كلّ يوم سوءًا، فذكّرتُه بنعم كثيرة، فلم يدّكر، ولم يشكر، بل ازداد تسخُّطًا ونفورًا، فلما استغلق قلبه، سلكت به مسلكًا عظيم النفع بيّنه الله تعالى في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ * قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ

بَغْتَـةً أَوْ جَهْـرَةً هَـلْ يُهْلَـكُ إِلَّا الْقَـوْمُ الظَّـالِمُونَ﴾[1]، فلمـا سـمع مـا سـمع تغيّر وجهه، واستكان فؤاده، وأناب.

إن ابـتلاء النـاس بشـيء مـن الخـوف والجـوع، وتقـص مـن الأمـوال والأنفـس والثمـرات وغيرهـا مـن الآلام والأوجـاع الحسّـيّة والمعنويّـة يجـدد إحساسـنا بـالنعم، فنـذكر ونشـكر ونسـعد؛ لأن اعتيـاد الغـافلين علـى النعـيم يحـرمهم الشـعور بـه، والملازمـة لـنمط واحـد فـي المعيشـة، والسـير علـى وتيـرة واحـدة يفقـد كثيـرًا مـن النـاس الإحسـاس، ويمـنعهم مـن تـذوّق طعـم تلـك اللـذات، حتـى إذا انتزعهـا الله تعـالى مـنهم، أو سـلّط علـيهم مـن ينـازعهم فيهـا، انتبهـوا مـن غفلتهم، فاستغفرا وشكروا.

[1] سورة الأنبياء الآيات (٤٠-٤٧)

للقلب لسانُه وميزانُه:

يتفاوت الناس في استثمار موارد السعادة وتذوّقها، نرى ذلك في **عباداتنا ومعاملاتنا وأخلاقنا وعاداتنا**، ومن أهم أسباب الاختلاف في تذوّق موارد السعادة:

الأول: الاختلاف في الدين: الأديان تغيّر أذواق الناس؛ لأنها تحلّ وتحرّم، وتستطيب وتستخبث، والدين الحقّ دين الإسلام، وهو دين الفطرة، دين العدل والإحسان والسّعة والسعادة، فالسعادة باتباع الهدى لا يستطيع قياسها، ولا يتذوقها إلا أصحاب الفطرة السليمة، وقد هدى الله تعالى بهذا الدين الناس وأصلح بالهم، وأقامهم على الفطرة، وجدّد لهم من الموازين والأذواق ما ذاقوا به حلاوة البذل في سبيل الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾[2].

[1] سورة الحشر الآية (٩)
[2] سورة التوبة الآية (٩٢)

أرأيت قومًا يؤثرون من هاجر إليهم على أنفسهم؟ أرأيت رجالًا تفيض أعينهم حزنًا ألّا يجدوا ما ينفقون؟ لقد غيّر الإسلام معارفهم وعقائدهم وعواطفهم؛ حتى أيقنوا أن الموت في سبيل حياة سعيدة، وأن الإنفاق تزكية ونماء، وأن الصبر ضياء، وأن الزهد في زينة الدنيا رفعة.

الثاني: الاختلاف في الجنس، فللذكور طباعهم، وللإناث فطرتهن، وكذلك **اختلاف الأعمار**، فلكلّ سنّ خصائصها، فنشاهد الأطفال يمرحون فرحين بما لديهم من الأشياء التي هي في نظرنا تافهة لا تسمن ولا تغني من جوع، وفي عمر الرجولة تتغيّر كثير من موارد السعادة بسبب الفروق الفرديّة الجبليّة والمكتسبة **كالثقافات والمعارف والمهارات والمهن.**

الثالث: اختلال الفطرة، وهو يفسد القلوب، ويفقدها ميزانها ولسانها الذي تتذوق به موارد السعادة، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[1] ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[2]. وقد بلغ الانحطاط وفساد الفطرة في بعض الأمم

[1] سورة البقرة الآيتان (١١-١٢)
[2] سورة التوبة الآيتان (١٢٤-١٢٥)

المتخلفة عن هدى الله تعالى أن تجيز زواج الذكر بالذكر والأنثى بالأنثى.

والفطرة السليمة تقضي أن الذكر لا يسعد إلا بنكاح أنثى، وأن الأنثى لا تسعد إلا بالزواج من ذكر، ومخالفة هذه الفطرة تفضي إلى هلاك النسل، وظهور الأمراض المهلكة.

نحن أحقّ بعلم السعادة منهم:

العلمُ بسنن الله تعالى التي تحكم إنتاج السعادة والرضا، وتضبط طرق توليدها وصيانتها هو أحد العلوم التي انتفعتُ بمعرفتها وسعِدتُ بها، ووددت لو أني عرفتها في مطلع حياتي.

إن **علم السعادة** أيها الكرام من أهمّ حقول **"علم النفس"**، وفيه كثير من الحكمة المباركة ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1].

وإني لأعجب من جَلَد غير المسلمين واجتهادهم وتعاونهم في دراسة الظواهر الإنسانية والكونيّة؛ لاكتشاف المعارف والسنن المتصلة بحياة الإنسان النفسيّة والحسيّة وبما يحيط بنا من المخلوقات.

وقد تعرّفت على بعض نظريّات علم النفس وتطوّراته حينما درسْتُ مقرّر الطبّ النفسيّ في كليّة الطبّ، وتعرّفت على أحوال بعض المرضى، وطرق التشخيص والعلاج المتبعة في المستشفى الجامعيّ عام ١٩٩٢م، ولو أن الطبّ النفسيّ انتفع بالقرآن والسنة لكان أنفع وأزكى، فقد حجبته نظريّات وضعيّة مبنيّة على فلسفة تنحطّ بالإنسان إلى أسفل سافلين، فلسفة تجرد الإنسان من أكرم صفاته، وتهمل أعظم حقائق ذاته؛ لأنها

[1] سورة البقرة الآية (٢٦٩)

نظريّات صاغها من لا يؤمنون بالله العظيم، ولا يدينون دين الحقّ المبين، نظريّات وضعها مَن فسدت فطرتهم، وأجروا تجاربهم على أنفس ضالة منقطعة عن الدين والفطرة، فلا عجب إذًا أن يقرّروا تلك المناهج الزائغة.

لقد خاض رواد العلوم الحديثة الغربيّون حربًا ضروسًا لمضادّة دينهم المحرّف الذي اتخذه كثير من القسيسين والأحبار والرهبان وسيلة لأكل أموال الناس بالباطل والعلو في الأرض، فدفع هؤلاء المنظرون العلمانيّون باطلَ الكنيسة بما اختلقوه من أفكٍ، وزعموا أنه ثمرة دراسات علمية كنظريّتي فرويد وداروين.

وقد خلف من بعدهم خلْف بحثوا ومحّصوا، فاكتشفوا أن روادهم وسلفهم كانوا ضالّين مضلِّين، ومن هؤلاء مارتن سليغمان مؤسس **"علم النفس الإيجابيّ"**[1]، فقد أدهشتني صراحته وبراهينه في نقض دعاوى أسلافه من علماء النفس، وقد خلُصت بحوثه وبحوث أنصاره إلى نتائج كثيرة، منها **أمران مهمّان:**

الأول: أن السعادة منتج قلبيّ، يزيد بالمسعدات، وينقص بالمنغّصات، وقرّر أن الازدياد من السعادة بصورة دائمة أو غالبة ممكن، وأبطل فكرة العُقَد التي اختلقها فرويد.

[1] انظر: سيليغمان، مارتن، السعادة الحقيقية، دار العين للنشر– القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م

والثاني: الإقرار بأن الدين مورد ضروريٌّ للسعادة والرضا والطمأنينة، وللتخلُّص من أسباب البؤس، وأصبح "مارتن" ومن تبعه يستثمرون الدين في علاج مرضاهم، وقد زعموا أنهم قرروا هذه الحقيقة بعد أن درسوا الأديان والثقافات!

لقد **أعجبتني** عناية هؤلاء الباحثين بالسعادة والرضا والتفاؤل والخصال النفسيّة الإيجابيّة؛ لشدّة احتياج الناس إليها، لكني **عجبت** أشدّ العجب من موازين هؤلاء الباحثين كيف أعرضوا عن الإسلام، وهو الدين الحقّ الذي أنزله الله تعالى لإسعاد العباد في المعاش والمعاد، وكيف سوّوا بين الأديان مع اختلافها العظيم في إسعاد العباد.

إنها ثقافة الليبراليّة المهيمنة على عقول أكثر مفكري الغرب! أما إنهم -وهم من أهل الكتاب- لو درسوا **القرآن والسنة** بموضوعيّة وعدل لوجدوا بغيتهم فيهما، وسعدوا بوعد الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ

وَعَـزَّرُوهُ وَنَصَـرُوهُ وَاتَّبَعُـوا النُّـورَ الَّـذِي أُنْـزِلَ مَعَـهُ أُولَئِـكَ هُـمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

[1] سورة الأعراف الآيتان (١٥٦-١٥٧)

﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾[1]

اليمن بلدة طيبة معبأة بموارد السعادة المادّيّة والمعنويّة، وقد جمع الله تعالى فيها أرقى أنواع الموارد: الإسلام والعربيّة والموقع الشريف والثروة البشرية الكريمة وثروات الأرض الظاهرة والباطنة، **فكيف استحالت هذه الموارد الكريمة بأيدينا مصادرَ للشقاء والضنك والخراب؟**

إننا بحاجة إلى برامج راشدة في **التأهيل والتشغيل** تملأ ديارنا بالأمن والإيمان والسعادة والرضا والفقه والحكمة والعدل والإحسان؛ لنسعد بهذه **الموارد وهذه الثروات**، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[2].

---

[1] سورة الإسراء الآية (٩)
[2] سورة الرعد الآية (١١)

إشاعة المنغّصات وإثارتها تكدّر العقيدة:

إن من الأخطاء الشائعة الظنَّ بأن الحزن وحرمان النفس من الطيّبات دليلٌ على قوّة التديّن، وأن الجفاء وجفاف الوجوه من البسمة والبِشْر والفرح دليل الجديّة في إدارة الطاقات وعمارة الحياة.

وصار ديدن بعض الوعاظ والمحاضرين أشبه بالمشتغلين في وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام الذين استحوذت عليهم ظاهرة إثارة المآسي؛ حتى صوروا الحياة الدنيا قطعة من العذاب، وأضحت بعض المواعظ أشبه بنشرات الأخبار المصمّمة؛ لتحطيم العزائم وتكدير النفوس.

إن إشاعة المنغّصات وإثارتها تكدر صلة الناس بربّهم الرحمن الرحيم الكريم المنّان، وتعود بالضرر على الصحة النفسيّة والحسية.

إن كثيرًا من الناس **مفرِّطون** في ذكر ربّهم الكريم وشكره، **معرضون** عن استثمار ما قسمه الله تعالى لهم من النعم وموارد السعادة والرضا، لا يسعدون بصلتهم بالله تعالى، ولا بما أنعم به عليهم في أنفسهم، ولا بما أكرمهم به من الرزق الحلال الطيّب، ترى بعضهم لاهثًا بقلب تغلي قدوره همّا وغمّا طلبًا لغائب منشودٍ، وبعضهم كئيب مكبّ على وجهه حزين على فائت مفقود

لا يعود، فإذا دعوت أحد هؤلاء إلى السعادة والرضا بالمقسوم، **أبى وأصرّ على البقاء في دائرة الألم والضيق والحزن والهمّ والغمّ** قائلًا: كيف نسعد وقد فات ما فات، ولمّا نبلغِ المقصود، ولا المنشود؟

وقد سمعت بعضهم يقول: لو تركنا الهمّ، وجنحنا للتنعّم، ورضينا بالموجود، لضعفت العزائم، وخارت الهمم، وفاتتنا الفرص، وأدركتنا الأخطار!

إن هؤلاء الأفاضل بحاجة إلى مراجعة تنظيرهم وترشيد تفكيرهم وتدبيرهم؛ ليتوافق مع منهج الله تعالى القائل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[1]، فمَن ظنّ أن التنعُّم الرشيد بالموجود عجز وقلة حزم، وأن الهمّ وقودُ الهمّة يقرب البعيد، ويجلب المنشود، فإنما يعذّب نفسه مرتين، يعذّبها بالحرمان من التنعّم والتلذّذ بالطيّبات الموجودة، ويعذّبها بطلب المنشود بقلب مشحون بالهمّ والغمّ، فيقلّ شكره، ويحرم المزيد، وهذا من العذاب العاجل، فكيف بالعذاب الآجل، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[2].

---

[1] سورة المائدة الآيتان (٨٦-٨٧)
[2] سورة إبراهيم آية (٧)

الفصل الثاني: موارد السعادة المعنويّة والحسيّة

موارد السعادة

موارد السعادة هي الأسباب التي تبعث السعادة في القلوب، وإن كتاب الله المجيد وسنة رسوله عليه الصلام والسلام، وهذا الكون البديع موارد كافية **لإسعاد الناس جميعًا**، والإنسان الحكيم هو الذي يستثمر هذه الموارد بما يمليه عليه الدين والعقل والفطرة. وكلّ نقص أو اختلال في منسوب السعادة سببه الإخلال بموازين الدين، والعقل والفطرة.

ولقد يسّرَ الله تعالى لنا مقادير كبيرة وكثيرة من موارد السعادة المعنويّة: الدينيّة والمعرفيّة، والحسيّة من الطعام، والشراب، والدواء، والمساكن، واللباس، ومن الأزواج والأموال، وغيرها من متاع الحياة وزينتها، وجعل سبحانه تعالى قدرتنا على التمتّع بلذات الحياة وشهواتها محدودة لا تتسع للتمتع بكلّ ما يسره لنا من النعم، فالأيام معدودة، والقدرات محدودة.

ولقد رأيت كثيرًا ممن لديهم موارد كثيرة كافية لإسعاد أنفسهم وإسعاد من حولهم رأيتهم في ضيق وكرب؛ لأنهم لا يحسنون استثمارها، فلا يستفيدون منها، ولا يتنعمون بما لديهم من الموارد لا الدّنيويّة ولا الدينيّة، فلا يَسعدون، ولا يُسعدون؛ لأن منسوب العزم لديهم قليل لا يكفي لإمدادهم بالقوة لتحصيل ما

يريدون. والعزم[1] هو الإرادة الجازمة التي تحمل صاحبها على التقدّم والمضي في تحصيل سعادته، وتصونه من التردّد والوهْن في طلب السعادة؛ فإن السعادة لا تنال إلا بالعلم النافع والعزم الدافع؛ لأن "الْمصَالح والخيرات وَاللَّذَّات والكمالات كلّها لَا تنَال إِلَّا بحظ من الْمَشَقَّة، وَلَا يعبر إِلَيْهَا إِلَّا على جسر من التَّعَب وَقد أجمع عقلاء كل أمة على أَن النَّعيم لَا يدْرك بالنعيم"[2]. وتتجلّى قوة أولي العلم والعزم في الحرص على ما ينفع، والاستعانة بالله تعالى، وبذل الوسع، فإذا أنعم الله تعالى على أحدهم شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا فرّط استغفر، فإن هذه الأمور عنوان سعادة العبد وعلامة فلاحه في دنياه وأخراه[3].

وهنا يعترضنا تساؤل وجيه: لماذا تنشأ كلّ هذه الصراعات على هذه الموارد، إن كانت كافية؟

الجواب: لقد نشأت الصراعات بسبب أطماعنا التي لا يشبعها شيء إلا التراب، بل كلّ ما على الأرض لا يشبع طمع نفس واحدة! فكيف بأطماع الناس أجمعين؟

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ وَهْوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله

---

[1] والعَزْمُ لغةً: "الجِدُّ عَزَمَ على الأَمر يَعْزِمُ عَزْماً، واعْتَزَمَه واعْتَزَمَ عليه أَراد فِعْلَه ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة: خير، دار صادر – بيروت، ط١، ج١٣/ ٣٩٩

[2] انظر: ابن قيم الجوزية، محمد، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية، ج٢/ ١٥

[3] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الوابل الصيب، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١، ١٤٠٥، ص١١

عليه وسلم هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمِ الْعَلاَءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ فَوَافَوْا صَلاَةَ الْفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا انْصَرَفَ تَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ قَالُوا أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُم"[1].

والتنافس يفضي إلى التنازع، والتنازع يجلب الفشل، وذهاب القوة، وضياع السيادة، وخراب الديار، **فتنقلب النعم نقمًا**، ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[2].

[1] رواه البخاريّ ح٤٠١٥، ومسلم ح٧٦١٤

[2] سورة الأنفال الآية (٤٦)

أقسام موارد السعادة:

تنقسم موارد السعادة إلى قسمين كبيرين:

القسم الأول: الموارد الشرعيّة للسعادة، قال الله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2]، فالهدى هو القرآن الكريم والسنة النبويّة، وهما أعظم موارد السعادة ومصادرها، وسأذكر شيئًا من فيوضهما المباركة الممزوجة بالحبور والنور.

[1] سورة الآيتان الآية (١٢٣-١٢٤)
[2] سورة يونس الآيتان (٥٧-٥٦)

أولًا: القرآن الكريم

سيظلّ القرآن الكريم يفيض على الناس هدى ورحمة وبشرى وسعادة، حتى يرفعه الله تعالى، و**موارد السعادة التي تتفجّر من القرآن الكريم** أفضل الموارد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[1]، ويمكن تقسيمها إلى أقسام:

القسم الأول: العلم بالله تعالى وبأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا القسم مورد السعادة الأعظم والأكرم، لا تصلح القلوب، ولا ترشد العقول، ولا تطيب النفوس، ولا تتمّ السعادة إلا بمعرفته، وقد جاءنا القرآن الكريم بالبراهين القاطعة على وحدانية الله تعالى المؤسسة لعقيدة الإسعاد الراسخة التي لا يأتيها باطل، ولا يشوبها ريب.

القسم الثاني: العلم بالملائكة والكتب المنزلة، والرسل، وباليوم الآخر، والقضاء خيره وشره.

القسم الثالث: العلم بخلق الإنسان، وخلق السماوات والأرض وبكثير من سنن الله في خلقه، وآياته البيّنات والمعجزات، وبحقيقة الدنيا وزينتها وفتنتها، وقصّ الله علينا القصص، وضرب لنا الأمثال؛ ليحيا المؤمن مطمئنًا، مستقيم الفكر والعقل،

[1] سورة الإسراء الآية (٩)

سليم القلب معافى من آفات الخرافات، والبدع، والضلالات التي تفتكُ بقلوب المشركين والملحدين.

لقد جمع القرآن الكريم علومًا عزيزة إنسانيّة وطبيعيّة استفاد منها المسلمون في تنوير العقول، وإصلاح القلوب، وبناء النفوس السّويّة الطيّبة، واستثمروها فيما يسعد الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة.

القسم الرابع: شرائع العدل والإحسان

لقد جاءنا القرآن بشرائع العدل والإحسان، وهدانا إلى أَرشد السبل وَأَصوبها[1]؛ لمعالجة قضايانا المعتادة والمستجدّة بالعدل والإحسان، قال الإمام الشافعيّ: "فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليلُ على سبيل الهدى فيها"[2].

ومن أشهر النوازل المعاصرة الاختلالات البيئيّة، فقد أضرّ بالحياة على الأرض التلوّث والأمراض والمجاعات والحروب، وقد قدمت نظريّات كثيرة؛ لتحسين حياة الإنسان وإسعاده، وفي عام ١٩٨٧م قدم تقرير "مستقبلنا المشترك" التابع للأمم المتحدة فكرة التنمية المستدامة وعرّفها بأنها: التنمية التي تُلبي حاجات الجيل الحاضر من غير إخلال بقدرة الأجيال المقبلة على تلبية

[1] انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ، ج١٧/٣

[2] انظر: الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، مكتبه الحلبي، مصر، ١٩٤٠م، ص١٩

حاجاتهم[1]. وجوهر هذه النظريّة هي الحفاظ على سلامة البيئة؛ لاستدامة قدرتها على تزويدنا بما نحتاج إليه من الموارد، وذلك بتحسين طرق استثمار الموارد الطبيعيّة وترشيد الاستهلاك، ومعالجة التلوّث والاختلالات التي حصلت بسبب تهوّر الإنسان، وسوء تدبيره.

وقد أعجبني أصل الفكرة، وهو **المحافظة على الفطرة**؛ لاستدامة الحياة على الأرض نظيفة مطمئنة، فاخترته[2] لرسالتي (الدكتوراه)، فدرست أدبيّات التنمية المستدامة، وقارنتها ببعض ما ورد في القرآن الكريم؛ لاستدامة التنمية والحفاظ على فطرة الإنسان والبيئة، فوجدت أن الاستدامة لا يمكن أن تقوم إلا على **شرائع العدل والإحسان، وأكثر الشرائع** الوضعية المعتمدة لديهم لوائح مفتقرة إلى منهاج النبوّة؛ لتحقّق الغايات الجميلة، فلا استدامة بلا استقامة على دين الفطرة، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3]، "فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق، وهذه حقيقة الفطرة. ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته

[1] انظر: برونتلاند، جرو هارليم وشركاؤها في اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك، ترجمة: محمد كامل عارف، سلسلة عالم المعرفة العدد ١٤٢، ١٩٨٩م ص٦٩

[2] رسالة الدكتوراه في جامعة الملايا/ ماليزيا (٢٠١٦-٢٠١٩)

[3] سورة الروم الآية (٣٠)

أفســدها"[1]، فالإنســان الــذي فســدت فطرتــه أعجــز مــن أن يشــرّع للفلاح والصلاح.

[1] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص٦٤٠

من فيوض السعادة في القرآن الكريم

الحديث عن **فيوض** السعادة في القرآن الكريم لا تسعه الموسوعات، وبركاته كوثر غير ممنون. أرأيت كيف تنفذ كلماته إلى القلوب فتصبغها بصبغة الرحمة والحكمة، وتؤلف بينها، وتذهب عنها رجز الشيطان، وفتنته، فتستقرّ القلوب على أريكة المحبّة وبين يديها يمتدّ أفق السعادة والرجاء الواسع!

إن القرآن الكريم يفيض هدى وشفاء ورحمة وبشرى، وقد أمرنا بالفرح به، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1]. وسأذكر أنواعًا من فيوض السعادة في القرآن الكريم

الفيض الأول: فيض القرآن الكريم على المؤمنين

المؤمنون أسعد الناس بالقرآن الكريم، وسأذكر مثالًا مما اختصّهم الله به، ألا وهو قراءة الفاتحة في الصلاة، فإن لها أثرًا عظيمًا في حياتنا إذا عقلها القارئ كما بيّن لنا رسُولُ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- هذه الحقيقة؛ لكي ننتفع بها ونستثمرها، فإنها من أعظم موارد السعادة، فعن أبي السَّائِبِ سمعت أبا هريرة يقول: قال رسُولُ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: "مَنْ صَلَّى صَلاَةً لَمْ يَقْرَأْ

[1] سورة يونس الآيتان (٥٧-٥٦)

بِـأُمِّ الْقُـرْآنِ فَهِـيَ خِـدَاجٌ، فَهِـيَ خِـدَاجٌ، فَهِـيَ خِـدَاجٌ غَيْـرُ تَمَـامٍ، فَقُلْـتُ: يَـا أَبَـا هُرَيْـرَةَ ، إِنِّـي أَكُـونُ أَحْيَانًـا وَرَاءَ الإِمَـامِ ، فَغَمَـزَ ذِرَاعِـي ، وَقَـالَ : اقْـرَأْ بِهَـا يَـا فَارِسِـيُّ فِـي نَفْسِـكَ، فَـإِنِّي سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللَّهِ -صَـلَّى الله عَلَيْـهِ وسَـلَّمَ- يَقُـولُ: قَـالَ اللَّهُ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى: قَسَـمْتُ الصَّـلاَةَ بَيْنِـي وَبَـيْنَ عَبْـدِي نِصْـفَيْنِ، فَنِصْـفُهَا لِـي وَنِصْـفُهَا لِعَبْـدِي، يَقُـولُ الْعَبْـدُ: {الْحَمْـدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ} يَقُـولُ اللَّهُ: حَمِـدَنِي عَبْـدِي، يَقُـولُ الْعَبْـدُ: {الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ}، يَقُـولُ اللَّهُ: أَثْنَـى عَلَـيَّ عَبْـدِي، يَقُـولُ الْعَبْـدُ: {مَالِـكِ يَـوْمِ الـدِّينِ}، يَقُـولُ اللَّهُ: مَجَّـدَنِي عَبْـدِي، وَهَـذِهِ الآيَـةُ بَيْنِـي وَبَـيْنَ عَبْـدِي، يَقُـولُ الْعَبْـدُ: {إِيَّـاكَ نَعْبُـدُ وَإِيَّـاكَ نَسْـتَعِينُ}، فَهَـذِهِ بَيْنِـي وَبَـيْنَ عَبْـدِي، وَلِعَبْـدِي مَـا سَـأَلَ، يَقُـولُ الْعَبْـدُ: {اهْـدِنَا الصِّـرَاطَ الْمُسْـتَقِيمَ صِـرَاطَ الَّـذِينَ أَنْعَمْـتَ عَلَـيْهِمْ غَيْـرِ الْمَغْضُـوبِ عَلَـيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ}، فَهُوَ لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ"[1].

[1] رواه مسلم، ح ٥٩٨

الفيض الثاني: قراءة القرآن الكريم على المسلمين وغيرهم، وقد أثبتت التجارب أن لقراءة القرآن الكريم وسماعه تأثيرًا مُسَكّنًا للأنفس، وأن فيه شفاء للمسلمين وغير مسلمين من الأمراض النفسيّة والحسيّة، وقد تكاثرت عليه الأدلة منذ نزول القرآن حتى عصرنا هذا[1].

ومما ورد في ذلك ما ذكره أَبو سَعِيدٍ الخدريّ رضي الله عنه أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم انْطَلَقُوا فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لاَ يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلاَءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ قَدْ نَزَلُوا بِكُمْ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ فَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لاَ يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ شَيْءٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ نَعَمْ وَاللَّهِ إِنِّي لَرَاقٍ وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ فَانْطَلَقَ فَجَعَلَ يَتْفُلُ وَيَقْرَأُ {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} حَتَّى لَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ فَانْطَلَقَ يَمْشِي مَا بِهِ قَلَبَةٌ قَالَ فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ بَعْضُهُمُ اقْسِمُوا فَقَالَ الَّذِي رَقَى لاَ تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم

[1] انظر: بدري، مالك، التفكر من المشاهدة إلى الشهود، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا الولايات المتحدة، ط ١٩٩٥م، ص٥٩-٦٠، وانظر: الجيوسي، عبد الله، التعبير القرآني والدلالة النفسية، دار الغواثي للدراسات القرآنية، دمشق، ط١، ٢٠٠٦م ص١١١-١٢٧ وقد ذكر الباحث أدلة كثيرة من الماضي والحاضر، والكتاب رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية ماليزيا نوقشت في ٢٠٠١م.

فَنَـذْكُرَ لَـهُ الَّـذِي كَـانَ فَنَنْظُـرَ مَـا يَأْمُرُنَـا فَقَـدِمُوا عَلَـى رَسُـولِ اللهِ صـلى الله عليـه وسـلم فَـذَكَرُوا لَـهُ فَقَـالَ وَمَـا يُـدْرِيكَ أَنَّهَـا رُقْيَـةٌ أَصَـبْتُمُ اقْسِـمُوا وَاضْـرِبُوا لِـي مَعَكُـمْ بِسَـهْمٍ"[1]، فـانتفع المؤمنـون بـالأجرة علـى قـراءة سورة الفاتحة، وانتفع المشركُ بقراءة سورة الفاتحة عليه.

[1] رواه البخاريّ، ح٥٧٤٩

الفيض الثالث: التدبرّ الموضوعي للسور

التدبرّ وفق منهج التفسير الموضوعي للسور يمكّننا من اكتشاف كثير مما في خزائن السور من المعارف الكريمة الكليّة والتفصيليّة، وسأعرض نظام سورة البقرة نموذجًا؛ لترى شيئًا عجبًا محكمًا لا سبيل إلى الإحاطة بجماله وكماله.

لقد قرأت كثيرًا مما كتب في تفسير سورة البقرة، وسعدت بتدبّر هذه السورة المباركة مرارًا وتكرارًا، ولقد أسعدني وأدهشني ما ظهر لي من كمال معانيها وجمال مبانيها، وكلما ازددت لها تدبّرًا، زادتني سعادة وعلمًا، إنها مورد نعيم لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، وأنى لقلبي أن يحيط بها علمًا؟ إنها لمعجزة بديعة لا ريب فيها.

لقد تنزّلت سورة البقرة في مرحلة ظهور الإسلام على العالم بدعوته ودولته، تنزلت والأمة المسلمة ممسكة بقرارها، وبسيادتها في المدينة الشريفة، ماضية في نشر رسالتها؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وحشدهم تحت لواء الحقّ؛ ليسعوا في التمكين لدينهم تشريعًا وتنظيمًا، وفي التأمين لأمتهم حاضرًا ومستقبلًا، ليسعدوا بوعدَ الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ

خَـوْفِهِمْ أَمْنًـا يَعْبُـدُونَنِي لَا يُشْـرِكُونَ بِـي شَـيْئًا وَمَـنْ كَفَـرَ بَعْـدَ ذَلِـكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون﴾[1].

وقـد بـدا لـي أن موضـوع السـورة مؤتلـف مـن: مقدمـة، وصـلة المقدّمة، وثلاثة مقاطع، وصلة الخاتمة، وخاتمة.

المقدمـة: بيـان أن القـرآن هـو الكتـاب الهـادي للتـي هـي أقـوم، فمـن آمـن واتقـى فقـد اهتـدى وأفلـح وسـعد، ومـن أعـرض عنـه ضـلّ وشـقي، وقـد وصـف الله تعـالى كتابـه بوصـفين يسـتوعبان كـل مـا فـي القرآن الكريم من الأخبار والأحكام:

الوصـف الأول: نفـي الرّيـب كلّـه عـن هـذا الكتـاب المبـارك، فـلا ريب في صدق أخباره، ولا ريب في عدل أحكامه.

الوصـف الثـاني: هدايـة المتقـين، فـالمتقون مهـديّون للتصـديق والإيمـان بأخبـار هـذا الكتـاب، والتسـليم والامتثـال لأحكامـه، أمـا التصـديق فقـد بيّنـه تعـالى بقولـه: "الَّـذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِالْغَيْـبِ"، وقولـه تعـالى: ﴿وَالَّـذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِمَـا أُنْـزِلَ إِلَيْـكَ وَمَـا أُنْـزِلَ مِـنْ قَبْلِـكَ وَبِـالْآخِرَةِ هُـمْ يُوقِنُـونَ﴾ وأمـا الامتثـال لأحكـام الشـرع فقـد ذكـر شـعيرتين مـن أعظـم الشـعائر، فالصـلاة أعظـم الشـعائر البدنيـة، والإنفـاق شـعيرة ماليـة، قـال الله تعـالى: "وَيُقِيمُـونَ الصَّـلَاةَ وَمِمَّـا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ" [١-٢].

وصـلة المقدّمـة: وفيهـا: بيـان صـفات الأصـناف الثلاثـة (المتقـين والكفار والمنافقين) وبيان عاقبة كلّ صنف[٣-٢٠].

المقطع الأول: الدعوة إلى عبادة الله وحده، وإقامة الحجة، وضرب الأمثال وقصّ القصص، وبناء الأمة الوسط وتحقيق شرط الاستخلاف الرشيد في الأرض، [البقرة: ٢١-١٦٢]. وفيه أربعة محاور:

المحور الأول: النداء الأول: دعوة الناس إلى عبادة الله تعالى وحده، وعبادة الله تعالى وحده شرط الله تعالى للاستخلاف والتمكين والتأمين ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[1]، (وهو أول نداء في المصحف)؛ لتحقيق التقوى سبب الفلاح في الدارين. وعرض البراهين على التوحيد وصدق الرسالة لنفي الرّيب [البقرة: ٢١-٢٩].

المحور الثاني: خلق آدم عليه السلام الخليفة الأول، وبدء الاستخلاف في الأرض، وقد ورد فيها سرّ الابتلاء، وحقيقة التدافع بين الحقّ والباطل، وهي أول القصص ذكرًا في المصحف، وهي أصول جامعة للعبر والعظات [البقرة: ٣٠-٣٩].

المحور الثالث: دعوة بني إسرائيل إلى اتباع ما أنزل الله، والوفاء بالعهد، وتفنيد شبهاتهم، ودحضها، وقد ضرب الله لهم الأمثال بما قصّه من قصص آبائهم وما أخذه عليهم من المواثيق؛ لعلهم يعقلون! فقد كان بعضهم أهل ذمّة في دولة المدينة، فأقام عليهم الحجة البالغة. وفي ذكر قصّة آدم تهيئة للناس أجمعين لاتباع نبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام المبعوث رحمة للعالمين!

فأتبع القصة المؤسِّسة بنداء خاصّ لبني إسرائيل، وذكرهم بما أنعم به على آبائهم، وكيف كان حال أجدادهم، ولهذا الاختصاص والعناية والابتداء بدعوتهم مسوغاته، يظهر لي منها:

- أن لديهم الدلائل الشاهدة على صدق نبوة خاتم لمرسلين عليه الصلاة والسلام، فهم مؤتمنون على تلك البينات، وفي إيمانهم شهادة على غيرهم.

-كونهم ورثة الهدى وأتباع آخر الرسالات السماوية: توراة موسى، وزبور داوود، وإنجيل عيسى (عليهم الصلاة والسلام) ... فهم أقرب الناس دينًا إلى أهل الإسلام.

-أخذ الميثاق عليهم باتباع خاتم المرسلين ونصرته

- وجودهم في المدينة ودخولهم في ذمّة الله ورسوله، فهم جزء من المجتمع المدني (أقليّة محترمة).

-سمعتهم ومكانتهم الدينية في جزيرة العرب، فإسلامهم مؤثر في بقية أهل الجزيرة. وهم يعتقدون أنهم على هدى ممّا بقي لديهم من ميراث رسلهم عليهم السلام، فجاءهم الخطاب داعيًا إلى اتباع النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوبًا عندهم، ومصدّقًا لما معهم ومهيمنًا عليه؛ لينتقل بهم إلى الاصطفاف مع عموم الناس في صفٍّ واحد، وإطار جامع، وليعتبر العالمون بسنن الله تعالى التي مضت في بني إسرائيل، وما وقع منهم ولهم، وليُظهر نعمة الله تعالى على البشريّة عامّة ببيان فضل الرسالة الخاتمة وكمالها وجمالها. [البقرة: ٤٠-١٠٣].

المحور الرابع: دعوة المؤمنين إلى حسن تلقي الكتاب، وتحذيرهم من سنن الناكثين وتبصيرهم بكيد أعدائهم، وتذكيرهم بصلتهم بإبراهيم الذي وفّى، وبنيه أئمة الهدى عليهم الصلاة والسلام أجمعين، وقد أوضح لهم وظائف الأمة المسلمة الوارثة؛ ليستحقوا الوعد الحقّ، وبيّن لهم المنهج الأمثل لمعالجة المصائب الكونية، ودرء الذنوب والفتن بالتوبة والإصلاح والبيان. [البقرة: ١٠٤-١٦٢].

المقطع الثاني: التمكين التشريعي والتنظيمي للأمة: بناء دولة العدل والإحسان والعزّة، دولة القانون والقوة والرحمة [البقرة:١٦٣-٢٥٤]، وفيه ثلاثة محاور:

المحور الأول: تقرير حقّ التشريع لله الرحمن الرحيم وحده، وبيان نواقض التشريع الربانيّ وموانعه (منهج موجز لتقرير حقّ التشريع وبيان نواقضه). [البقرة ١٦٣-١٧٧].

والآية "وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" (١٦٣) لها صدر المقطع الثاني؛ لجلال معناها ووفائه بأصل الأصول العقدية والتشريعيّة.

وأما النواقض (الموانع والفتن المانعة) فكلها تالية لهذا الأصل في السياق، وهي سبعة موانع، أربعة منها عامّة يستوي فيها الناس، ثم أردفها بثلاثة موانع خاصة بالذين أوتوا كتاب الله، وإليك تفاصيلها:

الفتنة الأولى: فتنة اتخاذ الأنداد: والأنداد يشرعون ويطبقون القوانين الباطلة، وهذه أخبث فتنة؛ لقوة تأثير الأسباب والمصالح الماديّة والمعنوية المتبادلة بين أكابر المجرمين الذين يحكمون بأهوائهم، وبين أتباعهم. وفي التنصيص عليها تذكير بقوله تعالى: "فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (٢٢)

الفتنة الثانية: فتنة ضغط الشهوات والغرائز الحاملة على مخالفة شرع الله تعالى مجده، ومن أخطرها شهوة الأكل، وفي التنصيص عليها في الآية تذكير بفتنة آدم وزوجه في الاستجابة لداعي الغواية.

الفتنة الثالثة: فتنة اتباع الشيطان. وفيها تحذير من اتباع خطوات الشيطان وكيده، وتذكير بفتنته المخرجة لآدم وزوجه من الجنة.

الفتنة الرابعة: فتنة تقليد الآباء وترك شريعة الله بسبب تعطيل العقول.

الفتنة الخامسة: فتنة كتمان ما أنزل الله والمتاجرة بالدين "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤).

الفتنة السادسة: فتنة الاختلاف في الكتاب "وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦)، اختلاف ومشاقّة في العقائد وفي التشريعات الفقهية وفي الطرق التزكوية، والمدارس الحركية، والسياسية، وغيرها؛ حتى صارت الأمة مفرقة وممزقة...

الفتنة السابعة: فتنة الاختلال في ميزان التديّن، واختزال الدين في شعبة من شعبه، وهو فرع عن السادس مثاله: حصر البرّ في استقبال المشرق والمغرب ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ (١٧٧) ومن هذه الفتنة تنشا فتن الغلو والجفاء، ولو تتبعنا نشوء الفرق والطوائف في بلاد الإسلام لوجدنا أن منشأ الانحراف هو الغلو والجفاء، ولا استقامة للأمة إلا بإقامة ميزان الحقّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فإذا أقيم الوزن بالحقّ تهاوى الباطل!

والمحور الثاني: وضع الشرائع الحافظة لكيان الأمة في الآيات [البقرة: ١٧٨-٢٤٢]

المحور الثالث: بيان سنن الخروج من حالة الاستضعاف وصناعة النموذج الرشيد، فذكر الله نماذج تبين كيفية الخروج من أزمة الاستضعاف، وقصّ قصّة التمكين لبني إسرائيل من

بعد موسى عليه السلام، فقد كانت لديهم سلطة تشريعيّة، ولم تكن لديهم سلطة تنفيذية موحّدة، فعيّن الله لهم ملكًا، فلا دولة إلا باجتماع المرجعية الشرعية والسلطة التنفيذية [البقرة:٢٤٣-٢٥٤].

المقطع الثالث: استدامة التأمين الروحيّ والمالي: [البقرة ٢٥٥-٢٨٣]:

المحور الأول: استدامة التأمين الروحيّ

بعد الجولة العظيمة في بناء دولة العدل والعزّة، دولة القانون والقوة بوضع التشريعات الحيوية، وبيان سنن التمكين، انتقل الخطاب إلى مرحلة استدامة التأمين الربانيّ، وافتتح هذا المحور بآية الكرسيّ التي يتجلّى فيها الله بجلاله وعظمته وحفظه ورحمته، فيغشى القلوب بكلمات الجلال والكمال، والتوحيد والتمجيد، والتعظيم والتكريم، والتطمين والتأمين؛ فيثبّت جنانها، ويزودها بالنور واليقين، ويفيض عليها من فيوض الأمن، والإيمان، والطمأنينة، والسكينة؛ فتزداد القلوب تعظيمًا لشعائر الله، وطلبًا لمرضاته، وشكرًا لآلائه، فتمضي راضية مرضية؛ حتى تبلغ غاية هذا المقطع المبارك الذي تكتنفه من الجهة الأخرى آية المحاسبة والمراقبة الآية الربعة والثمانون بعد المئتين، فتتبوّأ القلوب عندها من مقام الإحسان مكانًا عليًّا.

إن من أعظم المقاصد تأمين التدّين وسدّ الافتقار الروحيّ بالإيمان والإحسان، والدعوة بالتي هي أحسن، واجتناب الغلو والتفريط، ونبذ الإكراه في الدين. وإن لورود آية الكرسيّ في هذا الموضع الرفيع لشأنًا عظيمًا! ففي هذا المقام الرفيع من سياق السورة تستقبل آيةُ الكرسيُّ القلوبَ، فتبين كيفية تدبير الله تعالى للكون، وتدبيره للحياة؛ لننطلق في عمارة الحياة عابدين له، مستعينين به متوكلين عليه وحده [البقرة ٢٥٥-٢٦٠]

المحور الثاني: استدامة التأمين المالي

ثم مضت هذه السورة العظيمة في تأمين التنمية الاقتصادية، وهي من أهم أسباب القوة والاستقلال والسيادة: [البقرة ٢٦١-٢٨٣].

صلة الخاتمة: آية المحاسبة والمراقبة الداعية للإحسان الآية [البقرة:٢٨٤] تستقبل القلوبَ، وقد رأت من آيات الله البيّنات، وتحمّلت من شرائعه المحكمات، وارتوت من عيون العبر والعظات، وعلمت من سنن الله تعالى ما ينفعها ويرفعها، وتهيأت لتحمل أمانة الخلافة، والتمكين؛ لتتبوّأ القلوب عندها من مقام الإحسان مكانًا عليًّا.

الخاتمة: امتثال وابتهال

امتثال الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ما أمروا به من الإيمان، والسمع والطاعة، ووفاؤهم بشرط الاستخلاف والتمكين والتأمين.

وابتهالهم بالدعاء الجامع، وقد استجاب الله تعالى لهم كما ورد في صحيح مسلم، [البقرة:٢٨٥-٢٨٦].

الفيض الرابع: التدبرّ التفصيليّ للآية

وسأضرب مثلًا بتدبّر آية الذكر والشكر، هما أصل الأصول في علم النفس الإسلاميّ، وعليهما مدار السعادة والرضا، وبناء الأنفس المطمئنة الراضية: قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[1].

إن العمل بما ورد في هذه الآية كفيل باستقامة الأنفس وسعادتها وحفظ ما أسبغ الله تعالى علينا به من النعم وزيادتها، وتحصيننا من النقم، وملء حياتنا سرورًا وحبورًا ونورًا!

وإن للحياة مع الله تعالى لحلاوة، وإن عليها لطلاوة، وإن أعلاها لمثمر، وإن أسفلها لمغدق! والحياة مع الله تعالى لا تعزلك عن واقعك؛ لتهيم في الوديان، أو تنقطع في جنّة بربوة، أو تجمح إلى المغارات، والمدّخلات، أو تتيه في الفلوات، كلّا! بل تسير بصاحبها تقيًّا نقيًّا، ناصحًا مصلحًا، منكرًا للمنكرات، مسارعًا في الخيرات، مجاهدًا في سبيل الله تعالى، لا يخاف في الله لومة لائم؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

وإني ما تدبّرت هذه الآية حقّ تدبّرها، إلا أحسست بروحها تسري في بصيرتي، فإذا قلبي طائر يتغنّى بمعاني الآيات، فلا

[1] سورة البقرة آية (١٥٢-١٥١)

تسلْ كيف يتغنّى القلب بمعاني الكتاب، فما لوصف احتفائه بجمال المعاني وجلالها من سبيل!

قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[1].

لبيك ربّنا وسعديك، والخير كلّه بيديك، لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، ها هو ربُّنا عزّ وجلّ يفتح لنا بابًا عظيمًا كريمًا من أبواب فضله، يدعونا لندخل عليه من غير واسطة ولا حجاب؛ لننال من جلال قربه، وكمال حبّه، وجزيل لطفه، وجميل أنسه بغير حساب، ترى كيف تلقّى هذه الآية قلب رسول الله حين ألقاها عليه جبريل عليهما الصلاة والسلام! وكيف كانت حفاوة المؤمنين بها؟ وإني كلما أمعنت النظر في هذه الآية أدهشتني كرائم الكنوز المعروضة، وهالتني غفلة قلوبنا المعرضة! فما أعظم العرض! وما أشقى المعرضين! وإنّ أكثر الناس إذا ذُكِّروا لا يذكرون، ولا يشكرون، وإذا بُصِّروا لا يبصرون، وإذا صُبِّروا لا يصبرون.

وأودّ أن أذكر بين يدي تفسير الآية حديثًا عظيمًا ما قرأته إلا فاض القلب محبّة وشوقًا وتسليمًا لرسول الله عليه الصلاة والسلام، فعَن معَاذ بن جبل أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم

[1] سورة البقرة آية (١٥٢-١٥١)

أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا فَقَالَ: "يَا مُعَاذُ إِنِّي وَاللَّهِ لَأُحِبُّكَ"، فَقَالَ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ فَقَالَ: "أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعْ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"، وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ الصُّنَابِحِيَّ، وَأَوْصَى بِذَلِكَ الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَأَوْصَى بِهِ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عقبة بن مسلم"[1].

وهذا الدعاء من جوامع الدعاء، وقد تسلسل نقل هذا الحديث بالمحبّة حتى عصرنا هذا؛ ليعلم الناس مكانة السُّنّة، وقدر عناية العلماء بها، وفضلها في إصلاح العباد. ومن لطائف الأقدار أني لما تدبَّرت هذا الحديث، وعشت الحادثة بحذافيرها، ووضعت الحديث في هذا السياق، أرسل إليّ أحد الأحبّة رسالة حديثةَ عهدٍ بطيبة -زادها الله شرّفًا وعزًّا- فقال صاحبي: أنا الآن في المدينة المنوّرة شرّفها الله تعالى، فتراءت لي طيبة رأي العين -صلى الله وسلم على صاحبها وأصحابه، وطيب الله ساكنيها- ففاضت عيناي، وأشرقت جنبات الروح بذكر الله تعالى، والصلاة والتسليم على خليله ومصطفاه.

والآية هادية إلى السنن الشرعيّة الجامعة ترغيبًا في استباق الخيرات، وتحصيل الدرجات، وتكثير النعم، وترهيبًا من النسيان

[1] رواه أحمد، ح ٢٢١٧٢، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير عقبة بن مسلم، وأبو داوود ح ١٥٢٤، وصحّحه الألباني.

والكفران، ونزول النقم، ففي هذه الآية وفق ميزان السياق أربع من أصول السُّنن الشرعيّة، وهي:

السُّنة الأولى: سُنّة ذكر الله تعالى، قال الله تعالى: "فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ".

سياحة القلوب في عالم الأذكار:

وما ينطلق قلب في حدائق ذكر الله ويستبق إلا سقطت عن عينه الغشاوة، فيرى ما يُحيِّر الأبصار من الآيات والأسرار، وينكشف الوقر عن سمعه، فيسمع ما لم يكن يسمع، فتظهر له الأشياء على حقيقتها، ويبصر ما في بطون الحوادث من الآيات والعبر، فيذوق من حلاوة ذكر الله ما لا سبيل إلى وصفه، ويريه الله تعالى من أقداره النازلة من السماء، وما يعرج فيها، وما يخرج من الأرض، وما يلج فيها، فإذا رقّ القلب وصفا، علا به؛ "فتفتح له أبواب السماء، فيجول في اقطارها وملكوتها وبين ملائكتها، ثم يفتح له باب بعد باب؛ حتى ينتهي به سير القلب إلى عرش الرحمن، فينظر سعته وعظمته وجلاله ومجده ورفعته، ويرى السموات السبع والارضين السبع بالنسبة إليه كحلقه ملقاة بأرض فلاة، ويرى الملائكة حافّين من حوله، لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير، والأمر ينزل من فوقه بتدبير الممالك والجنود التي لا يعلمها الا ربها ومليكها، فينزل الأمر

بإحياء قوم وإماتة آخرين، وإعزاز قوم وإذلال آخرين، وإسعاد قوم وشقاوة آخرين، وإنشاء ملك وسلب ملك، وتحويل نعمة من محلّ إلى محلّ، وقضاء الحاجات على اختلافها وتباينها وكثرتها من جبر كسير، وإغناء فقير، وشفاء مريض، وتفريج كرب، ومغفرة ذنب، وكشف ضرّ، ونصر مظلوم، وهداية حيران، وتعليم جاهل، ورد آبق، وأمان خائف، وإجارة مستجير، ومدد لضعيف، وإغاثة الملهوف، وإعانة لعاجز، وانتقام من ظالم، وكفّ العدوان، فهي مراسيم دائرة بين العدل والفضل، والحكمة والرحمة، تنفذ في أقطار العوالم، لا يشغله سمع شيء منها عن سمع غيره، ولا تغلطه كثرة المسائل والحوائج على اختلافها وتباينها واتحاد وقتها، ولا يتبرم بإلحاح الملحين ولا تنقص ذرة من خزائنه، لا إله إلا هو العزيز الحكيم، فحينئذ يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقًا لهيبته خاشعًا لعظمته، عانيًا لعزته، فيسجد بين يدي الملك الحق المبين سجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيد، فهذا سفرُ القلب، وهو في وطنه وداره ومحلّ ملكه، وهذا من أعظم آيات الله وعجائب صنعه، فيا له من سفر! ما أبركه وأروحه! وأعظم ثمرته وربحه! وأجل منفعته وأحسن عاقبته! سفر هو حياة الأرواح، ومفتاح السعادة، وغنيمة العقول والألباب، لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب"[1]. وكم من قائمٍ

[1] ابن القيّم، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية- بيروت، ج١/ ٢٠٢

آناء الليل يرجو رحمة ربّه، ويخشى عذابه، يُصرِّف القرآنُ قلبَه، فهو سابح في السماء، سائح في جنّات عدن حينًا، فيرى ويسمع، وينعم، ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[1].

أصناف الذكر، وسادةُ الذاكرين:

وذكر الله تعالى منه الواجب، ومنه المندوب، فالأمر: "فَاذْكُرُونِي" للوجوب حقيقة وللندب مجازًا، فالله تعالى يأمر عباده بذكره؛ ليجازيهم بذكرهم إياه ذكرًا خيرًا منه، فذكره إياهم أكبر، وأنفع لهم، وأصلح في الدنيا والآخرة، وذكر الله رُوح تحيي القلوب، ونورٌ يضيء السُّبل، ونعيمٌ يزيل الضَّنْك، ويذهب الشقاء، وأحسنُ الأمّةِ ذكرًا لله تعالى، وأسعدُهم به هو الرسول محمّد عليه الصلاة والسلام وأصحابه، وقد جزاهم الله أحسن الجزاء، فأكرمهم، ونعّمهم، ورفع ذكرهم، واستخلفهم في الأرض، ومكَّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وأبدلهم من بعد خوفهم أمنًا.

أثر الذكر في حياة الناس: وما من عبد يلزم ذكر الله تعالى إلا وجد الله تعالى عنده، ففتح له بركات من السماء والأرض، وتساقطت الهموم من فوق قلبه، وذابت مخاوفه كما يذوب الملح

[1] سورة الأعراف آية (٤٧)

في الماء، وانقشعت عنه ظلمات الأحزان، واتسعت له السُّبل، فطابت نفسه، وحسن خلقه، وانشرح صدره، وكساه الله ثوب العافية، فقوي بدنه، واستغنى عن زيارة الأطباء، وأخذ الدواء، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1]. ومن كثُر ذِكْره لله، كثُر برُّه، وغزُر علمه، واتسع حلمه، وغفرت آثامه، ورفعت أعلامه، وحسن كلامه، وقلّ ملامه، وطابت أيامه، واستغنى بصحبة القرآن والسُّنّة، وجعلت قرّة عينه في الصلاة، ودنت منه الجنة، وتدلّت إليه قطوفها، فأنس بحورها، وحبورها، وثمارها، وأنهارها، وظلها الممدود، فنعم الورد المورود، ورأى دركات أهل النار، فاستعاذ، ونفر من الفتن والخطايا، وترك السفساف، وانشغل بالأشراف، ففرّ إلى الله تعالى، واتقى، فارتقى، وأنشأه الله خلقًا آخر، فجعله مباركًا أينما حلّ، فتبارك الله ربّ العلمين.

أثر الذكر في الآخرة: ذكر الله تعالى سبب من أعظم أسباب الفلاح، والفوز بالجنّة، والنجاة من النار، قال الله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2]. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم؟ وأرفعها في درجاتكم؟ وخير لكم من إنفاق الذهب والورق؟ وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم

[1] سورة الرعد آية (٢٨)
[2] سورة الأحزاب آية (٣٥)

ويضربوا أعناقكم؟ " قالوا: بلى، قال: "ذكر الله"، فقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله"[1].

السُّنة الثانية: سُنّة نسيان ذكر الله، فلا تنسوا الله فينساكم، وهذه السنة مستنبطة من مفهوم المخالفة في قوله تعالى: "فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ"، فمفهومها: إن لم تذكروني، لم أذكركم. وقد ذكر الله تعالى هذه السنّة في مواطن من كتابه، كقول الله تعالى: ﴿نَسُواْ اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[2]، وعاقبة نسيان الله تعالى وخيمة أليمة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾[3].

ولمّا غفلنا عن ذكر الله تعالى إلا قليلًا، ونسينا، وأعرض فريق عريض عن ذكر الله تعالى، وذكره فريق بخلاف ما شرع، وأخلد من أخلد إلى الأرض، فاتنا الجزاء الحسن، ونزل بنا ما نزل، وحلّ بنا ما حلّ، وما نسي عبد ذكر ربّه، فأعرض إلا احتوشته الفتن، وأحاطت به المخاوف والأحزان، وكثرت أسقامه، وتعاظمت آلامه، واجتالته الشياطين، فاستحوذت عليه، فخبُثت نفسه، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، وأذاقه الله مرارة الحياة وعذابها أضعافًا مضاعفة، والعبدُ يُبتلى ويصيبه الضَّنْكُ على قدر إعراضه، فمن عَظُمت غفلته عَظُمَ ضنْكُه، وله

[1] سنن الترمذي ح ٣٣٧٧، وصحّحه الألباني.
[2] سورة التوبة آية (٦٧)
[3] سورة الأنعام آية (٤٤)

فـي الآخـرة عـذاب ألـيم، قـال الله تعـالى: ﴿وَمَـنْ أَعْـرَضَ عَـنْ ذِكْـرِي فَـإِنَّ لَـهُ مَعِيشَـةً ضَـنْكًا وَنَحْشُـرُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ أَعْمَـى﴾[1]. ﴿وَمَـن يُعْـرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[2].

السُّـنة الثالثـة، والرابعـة: سُـنّة الشـكر، وسُـنّة الكفـران، قـال الله تعـالى: "وَاشْـكُرُوا لِـي، وَلَا تَكْفُـرُونِ"، الأمـر للوجـوب، والنهـي للتحـريم، وقـد بـان لـي مـن ميـزان السـياق أنهمـا سـنتان؛ لأن الله تعـالى قـد أورد سُـنَّةَ الـذِّكْرِ بصـيغة الطلـب والجـزاء، فـي قولـه تعـالى: "فَـاذْكُرُونِي أَذْكُـرْكُمْ"، ودلّنـا بـالمفهوم علـى السـنّة المقابلـة لهـا (سُـنّة جـزاء النسـيان)، وأمـا سـنّة الشـكر فقـد نـصّ علـى الطلـب، ولـم يـذكر الجـزاء، وصـرّح بالطلـب فـي السُّـنة المضـادة لهـا (سُـنّة جـزاء الكفـران)، فتـرجّح لـي أن الغايـة مـن الآيـة بيـان هـاتين السُّـنتين طلبًـا وجـزاءً، واسـتدللت لهـذا بقـول الله تعـالى: ﴿وَإِذْ تَـأَذَّنَ رَبُّكُـمْ لَـئِنْ شَـكَرْتُمْ لَأَزِيـدَنَّكُمْ وَلَـئِنْ كَفَـرْتُمْ إِنَّ عَـذَابِي لَشَـدِيدٌ﴾[3]، وأسـتأنسُ بقـول الإمـام الطبـريّ: "ولكـن اشـكروا لـي عليهـا، وأزيـدكم فـأتمم نعمتـي علـيكم، وأهـديكم لمـا هـديت لـه مـن رَضـيت عنـه مـن عبـادي، فـإنّي وعـدت خلقـي أنّ مـن شـكر لـي زدتـه، ومـن كفرنـي حَرمتـه وسـلبته ما أعطيتُه"[4].

---

[1] سورة طه آية (١٢٤)
[2] سورة الجنّ آية (١٧)
[3] سورة إبراهيم آية (٧)
[4] الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ج٢١٢/٣

كثرة النعم توجب الشكر الكثير:

أخذت ذات ليلة قبل بضع سنين أتدبّر قول الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾[1]، فقلت لنفسي: أتدري ما النعم التي تحتاج إليها؛ لتبقى معافىً في بدنك، آمنًا في سربك لمدة ساعة فقط؟ قسّمت النعم الكلية التي أفتقر إليها إلى أقسام:

القسم الأول: النعم الحاضنة، وهي كلّ ما أحتاج إليه ممّا يحيط بي، ووجدت أنها كثيرة، من أهمها ما يلي ذكره:

-استقرار السماوات والأرض؛ حتى لا تزولا، فتميد بي الأرض، أو تقع السماء عليها، فنظرت في الأسباب التي أحتاج إليها؛ لتستقرّ السماوات فلا تقع على الأرض، ولا تميد بيَ الأرض، فإذا هي كثيرة لا تحصى؛ فأعدت النظر كرّتين، فانقلب إلي خاشعًا وهو حسير، فلئن اجتمع الخلق كلّهم ما استطاعوا على ذلك، فتذكّرت قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[2]، والفعل المضارع: "يُمْسِكُ" يدلّ على تجدّد افتقار السماوات والأرض إلى من يمسكهما، ولو تركتا لزالتا في طرفة عين! وكذلك حال الشمس في فلكها، فلو اقتربت لأحرقتنا، ولو ابتعدت لتجمّدنا من شدة البرد، وها أنا أقف على جلد الأرض،

[1] سورة إبراهيم آية (٣٤)
[2] سورة فاطر آية (٤١)

وهو قشرة رقيقة تحتها نار تلظّى، من يمسكها فلا تفور براكينها، ولا تتزلزل؟ إنه الله تعالى!

ثمّ الشرور والأخطار التي تنتشر حولي بسبب بشريّ أو حيواني، ممّا لا يعلمه إلا الله تعالى.

القسم الثاني: هي النعم الواقعة في نفسي، قلت: وأول النعم الكبرى لإبقاء الجسد حيًّا هو استقرار الروح في الجسد، ثمّ قلت: كيف؟ والله يتوفّاها كلّ ليلة ثمّ يرسلها، ويردّها علي. ترى من يرجعها "إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ"؟ وأما حاجة البدن إلى الماء، والغذاء، وعمل الأجهزة، وغيرها فلا تحصى!

القسم الثالث: النعم الروحيّة التي تجعلني سعيدًا مطمئنًا، ولا أُلقي بنفسي في المهالك وأعظمها صلتي بالله تعالى. فأيقنت أن العقلاء لو استعملوا كلّ آلة حاسبة في الأرض لما أحصوا نعم الله التي تتنزّل في دقيقة واحدة على نفس واحدة.

فقلت: أيها العبد الضعيف، ما أشدّ افتقارك إلى رحمة ربّك! هلّا أحسنت ذكر ربّك جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه، وشكرته حقّ شكره، وأحسنت عبادته، "وأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ". ألا نظرت ما قدمت يداك من سيئات أعمالك، فتخلّصت منها بالتي هي أحسن، فإن الله يعطي، ويضاعف أضعافًا كثيرة، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

عاقبة الكفران: قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1]، وفي قصة سبأ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾[2]،

[1] سورة إبراهيم آية (٧)
[2] سورة سبأ الآيات (١٥-١٧)

ثانيًا: السنة النبويّة

لقد قدّمت **سنة** الرسول عليه الصلاة والسلام للبشرية منافع لا تحصى ...وانتقلت بالناس من حياة الضنك والقلق والمتعة العابرة إلى الحياة الطيبة العامرة بالسعادة والسكينة وارضا...

من جنات **السنة النبويّة** تنبع عيون الحكمة؛ فترتوي منها الأنفس والقلوب رضا وسعادة وطمأنينة...

ومن سماء **السنة النبويّة** يشعّ نور اليقين بأضواء ملونة بالفرح والبهجة والبشرى، فيطوي ظلمات الأحزان والهموم.

كان الناس في الجاهليّة يسعدون بالإثم والعدوان، فلما أسلموا صاروا يسارعون إلى البر والتقوى، وكانوا يسعدون بمظاهر الفخر والتكاثر والزينة، فأصبحوا يتنافسون في بذل الخير وتكثير الخبيئات والبذل لوجه الله تعالى فرحين بطاعة الله تعالى.

لقد أنارت السنة النبويّة البصائر، وأصلحت السرائر بفضل الله تعالى، وآنست القلوب، وألّفت بينها، وأكرمت الإنسان، ورفعت مقامه، وفاضت على حياة المؤمنين مودة ورحمة، وأنسًا وبرًّا وصلة، وغمرت الأنفس والمجتمعات أمنًا وإيمانًا، وسلامًا وإسلامًا، وتعارفًا، وتآلفًا، وتعاونًا، إنها تهدينا إلى أحسن أنموذج للحياة الطيّبة.

من فيوض السّنة النبويّة لإسعاد البشريّة

إن المختصين في كلّ الاختصاصات إذا درسوا السنة النبويّة فسيجدون أنها تمدّنا بفيوض كثيرة معنويّة وحسيّة تسعدنا، منها:

الفيض الأول: العلم بالله تعالى وبأسمائه وصفاته وأفعاله.

الفيض الثاني: العلم بالملائكة والكتب المنزلة، والرسل، وباليوم الآخر، والقضاء خيره وشره.

الفيض الثالث: العلم بخلق الإنسان، وخلق السماوات والأرض وبكثير من سنن الله في خلقه، وآياته البيّنات والمعجزات، وبحقيقة الدنيا وزينتها وفتنتها، والقصص، والأمثال النافعة.

الفيض الرابع: شرائع العدل والإحسان

لقد جاءت السنة بتفاصيل شرائع العدل والإحسان التي شرعها الله تعالى في القرآن الكريم، فلولا السنة لما عرفنا كيف نصلي، وكيف نصوم ولا تفاصيل الزكاة والحجّ وغيرها من الشرائع، فلا يصحّ إسلام إنسان إلا **بالسنة النبويّة**، فطوبى لمن اتبع السنة إرشادًا وإسعادًا، وتحقيقًا لمقتضى الشهادة: "محمّد رسول الله"، وامتثالًا لأمر الله الصريح: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ

[1] سورة الحشر الآية (٧)

تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1]. واتخاذه أسوة وقدوة: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2]، فلا استقامة للحياة ولا صلاح إلا باتباع منهاج النبوّة الذي لا صبغة له ولا لون إلا صبغة الإسلام، ولا طعم له إلا طعم الإيمان، ولا رائحة له غير رائحة الإحسان...

[1] سورة الأنفال الآيات (٢٠-٢٤)
[2] سورة الأحزاب الآية (٣١)

الفيض الخامس: الأذكار:

وقد علمنا الرسول عليه الصلاة والسلام أذكارًا كثيرة لدرء الشرور الحسيّة والمعنويّة لا يستغني عنها أحد، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: "مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا"، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: "بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا"[1].

الفيض السادس: الوصفات الطبيّة الحسيّة؛ وسأقتصر على ذكر بعض العلاجات النبويّة التي لا تذكر في الطبّ الحديث حسب متابعتي وبحثي، وقد جربت هذه الأدويّة النبويّة بنفسي على المرضى.

المثال الأول: أليّة شاة أَعْرَابِيَّةٍ تذهب آلام عرق النَّسا، وتسعد المرضى، ففي عام ١٩٩٦م قرأت حديثًا صحيحًا عن أَنَس بْنِ

[1] أخرجه أحمد في مسنده ح٣٧١٢، وصححه الألباني في الكلم الطيب برقم (١٢٤)

مَالِكٍ، يَقُولُ فيه: سَمِعْتُ رَسُول اللهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- يَقُولُ: "شِفَاءُ عِرْقِ النَّسَا، أَلْيَةُ شَاةٍ أَعْرَابِيَّةٍ تُذَابُ، ثُمَّ تُجَزَّأُ ثَلاَثَةَ أَجْزَاءٍ، ثُمَّ يُشْرَبُ عَلَى الرِّيقِ، فِي كُلِّ يَوْمٍ جُزْءٌ"[1]، وفي رواية: "أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- كَانَ يَصِفُ مِنْ عِرْقِ النَّسَا أَلْيَةَ كَبْشٍ عَرَبِيٍّ أَسْوَدَ، لَيْسَ بِالْعَظِيمِ وَلَا بِالصَّغِيرِ، يُجَزَّأُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، فَيُذَابُ فَيُشْرَبُ كُلَّ يَوْمٍ جُزْءٌ"[2].

وعِرْقُ النَّسَا: وجعٌ يبتدئُ مِن مَفْصِل الوَرِك، وينزل مِن خلفٍ على الفخذ، وربما على الكعب[3]، سببه ضغط الفقرات على العصب، وهو ما يسمّى "الديسك"، وقد عالجت به أكثر من خمسين مريضًا، وهذه بعض القصص: لقيني داعية مصريّ مقيم في صنعاء، فقال: يا دكتور لم أعد أستطيع الحركة، ولا القيام الطويل، ولا الركوع، عندي آلام شديدة أسفل الظهر تمتدّ حتى القدم، حياتي صارت صعبة جدّا، وصفت له العلاج، ثم لقيني بعد عشرة أيام فرحًا مسرورًا شاكرًا، وقال: لقد شُفيت تمامًا بفضل الله تعالى، وقصة أخرى في ماليزيا، فقد شكا إليّ أحد الأساتذة في جامعة الملايا ما يلقاه من أذى وآلام بسبب الانزلاق في الفقرات السفلى من العمود الفقري منذ سنين، فعمل بالحديث،

---

[1] ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، ح٣٤٦٣، صححه الألبانيّ.
[2] أحمد، المسند، ح١٣٢٩٥، شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
[3] انظر: ابن قيم الجوزية، محمد، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٧، ١٤١٥ هـ، ج٤/ ٦٥-٦٦

فشفاه الله تعالى، وثم قصة عجيبة، فقد أصيب طبيب بآلام شديدة في فقرات العنق، وامتد الألم إلى اليد، فسأل أهل الاختصاص، فنصحوه بالسفر إلى الأردن، فقلت: جرّب وصفة الرسول عليه الصلاة والسلام، فعافاه ربّنا تعالى مجده، والحمد كلّه لله.

وقد انتفع بألية الشاة بعض المرضى المصابين باحتكاك في المفاصل، وما زلت أجمع النتائج في نفع ألية الشاة هذا الأمر، وفي شيء آخر جدّ عجيب.

المثال الثاني: علاج اللوزة الثالثة الواقعة خلف اللَّهاة.

أصيب طفل بالتهاب اللوزة الثالثة (وهو داء الْعُذْرَةِ، فالْعُذْرَةِ غير التهاب اللوزتين)، وصار يعاوده المرض كثيرًا، فيتعب ويتألم، فقرر له الأطباء عملية جراحية؛ لاستئصال اللوزة الثالثة، فقلت: أطبّق عليه الوصفة النبويّة، فهي خير من العمليّة، فطبقت الحديث الوارد عَنْ أُمِّ قَيْسٍ قَالَتْ دَخَلْتُ بِابْنٍ لِي عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَدْ أَعْلَقْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْعُذْرَةِ فَقَالَ: عَلَى مَا تَدْغَرْنَ أَوْلاَدَكُنَّ بِهَذَا الْعِلاَقِ عَلَيْكُنَّ بِهَذَا الْعُودِ الْهِنْدِيِّ فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ مِنْهَا ذَاتُ الْجَنْبِ يُسْعَطُ مِنَ الْعُذْرَةِ وَيُلَدُّ مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ"، والإعلاق والدَّغْر هو الضغط بقوة على اللَّهاة واللوزة الثالثة معًا، فقد كانت الأمهات يدخلن الأصبع في فم الطفل، فيضغطن على اللوزة بقوة، فيذهب الأذى، وقد أدركت هذا في قريتنا، وهو مؤلم جدًّا.

لقد قمت بتقطير القطر المستخلصة من عود القسط في أنف الطفل بعد صلاة العشاء وكان لا يستطيع التنفس من أنفه؛ لأن اللوزة الثالثة متورمة ملتهبة، ولما أصبحنا وجدنا الطفل يتنفس من أنفه، وقد تحسّن، فاستمررت في التقطير ثلاث مرات في اليوم لمدة ثلاثة أيام، فعافاه الله تعالى، ثم عالجت عددًا من الأطفال المصابين بالتهاب اللوزة الثالثة، وأما الذين لديهم التهاب

اللـــوزتين أو الحلـــق فكنـــت أعطـــيهم معجـــون القســـط بالعســـل يتغرغرون به ويبلعونه، فينتفعون به.

المثال الثالث: إثبات الإصابة بالعين ووصف العلاج لها

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- قَالَ "الْعَيْنُ حَقٌّ"[1]، وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- قَالَ: "الْعَيْنُ حَقٌّ وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا"[2]، وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- أَوْ أَمَرَ أَنْ يُسْتَرْقَى (نَسْتَرْقِيَ) مِنَ الْعَيْنِ"[3]، وعَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- رَأَى فِي بَيْتِهَا جَارِيَةً فِي وَجْهِهَا سَفْعَةٌ فَقَالَ: "اسْتَرْقُوا لَهَا فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ"[4]، والمعنى أن الإصابة بالعين ثابتة موجودة، وعلاجها الاغتسال إن عرفنا العائن (صاحب النظرة الخبيثة)، وذلك أن يعرف المصاب بالعين الشخص الذي قال له كلمة مؤذية أو حسده، وقد رأيت حالات كثيرة عجيبة لم أكن أتصور أن تشفى بمجرد الاغتسال بالماء الذي غسل فيه العائن (الحاسد) يديه، وقد شفاهم الله تعالى بهذه الوصفة، وإذا لم يعرف العائن فالرقية.

---

[1] رواه البخاريّ، ح٥٢٩٩، ومسلم ح٤٠٧٠.
[2] رواه مسلم ح٤٠٥٨.
[3] رواه البخاريّ، ح ٥٧٣٨، ومسلم ح٤٠٥٧.
[4] رواه البخاريّ، ح٥٢٩٨.

القسم الثاني: الموارد الطبيعيّة للسعادة، وتشمل كلّ ما سخّره الله تعالى ويسّره في هذا الكون الواسع، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾[2]، فقد جعل الله تعالى في النعاس والمطر كلّ تلك المنافع، والآثار المعنوية والحسيّة الطيبة، وفي الحديث عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ-: أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ الضِّيقُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ"[3].

وفي رواية عند الحاكم أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- قَالَ: ثَلاَثٌ مِنَ السَّعَادَةِ، وَثَلاَثٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ، فَمِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ تَرَاهَا تُعْجِبُكَ، وَتَغِيبُ فَتَأْمَنُهَا عَلَى نَفْسِهَا، وَمَالِكَ، وَالدَّابَّةُ تَكُونُ وَطِيَّةً فَتُلْحِقُكَ بِأَصْحَابِكَ، وَالدَّارُ تَكُونُ وَاسِعَةً كَثِيرَةَ الْمَرَافِقِ،

---

[1] سورة الجاثية الآيتان (١٢-١٣)
[2] سورة الأنفال الآية (١١)
[3] ابن حبان، محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، ح٤٠٣٢، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط البخاري، وقال الشيخ الألباني: (صحيح) صحيح الجامع حديث رقم : ٨٨٧

وَمِنَ الشَّقَاوَةِ: الْمَرْأَةُ تَرَاهَا فَتَسُوءُكَ، وَتَحْمِلُ لِسَانَهَا عَلَيْكَ، وَإِنْ غِبْتَ عَنْهَا لَمْ تَأْمَنْهَا عَلَى نَفْسِهَا، وَمَالِكَ، وَالدَّابَّةُ تَكُونُ قَطُوفًا، فَإِنْ ضَرَبْتَهَا أَتْعَبَتْكَ، وَإِنْ تَرْكَبْهَا لَمْ تُلْحِقْكَ بِأَصْحَابِكَ، وَالدَّارُ تَكُونُ ضَيِّقَةً قَلِيلَةَ الْمَرَافِقِ"[1].

وكلّ العلوم المعاصرة والمصنوعات النافعة تجلب النفع وتدفع الضرّ، وتسعد الناس.

وقد اجتمع النوعان الشرعيّ والكونيّ في حديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَمَنَّوْا الْمَوْتَ، فَإِنَّ هَوْلَ الْمَطْلَعِ شَدِيدٌ، وَإِنَّ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ يَطُولَ عُمْرُ الْعَبْدِ، وَيَرْزُقَهُ اللَّهُ الْإِنَابَةَ"[2]، فطول العمر مورد كونيّ، والإنابة مورد شرعيّ؛ لنرفع منسوب السعادة في نفوسنا وبيوتنا!

والموارد الحسّيّة أنواع كثيرة، فمنها ما يدرك باللمس (الملموسات)، ومنها ما يدرك بالبصر (المرئيّات)، ومنها ما يدرك بالذوق (المطعومات)، ومنها ما يدرك بالشَّمّ (الروائح)، ومنها ما تدرك بالسمع (المسموعات).

---

[1] الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، ح ٢٦٨٤، قال الشيخ الألباني: (حسن) صحيح الجامع حديث رقم: ٣٠٥٦، والقطوف: هو البطيء، يقال: قطَفت الدابَّةُ: ضاقَ مَشْيُها تَقْطُفُ وتَقْطِفُ قِطافاً وقُطوفاً.

[2] ابن حنبل، أحمد، المسند، ح١٤٥٦٤، حسنه المنذري والهيتمي، وقال شعيب الأرنؤوط : حسن لغيره، قابل للتحسين.

الفصل الثالث: تدريب القلوب على مهارات إنتاج السعادة والرضا

تدريب القلوب:

إن قلوبنا مثل أجسامنا تنمو قدراتها وتقوى بالتدريب والتهذيب، وتضعف قوتها وملكاتها بالإهمال وسوء الاستعمال.

وتدريبُ القلوب أرقى أنواع التدريب ومن أهمّ علوم النفس الإسلاميّ؛ لأنه يمكِّننا من اكتساب أعظم الوظائف نفعًا في الحياة العاجلة والآجلة، ولذا عظُم في الشرع والعقل شأنُ إصلاح القلوب وتنمية قدراتها على التفكّر والتعقّل والتدبّر، وإنتاج السعادة والرضا، والقناعة، وغيرها من الانفعالات والوظائف القلبيّة الحسنة.

ويتعيّن على كلّ إنسان تزكية قلبه وتدريبه؛ ليتمكّن من أداء الوظائف الرفيعة في الحياة، فإذا صلحت القلوب، صلحت وظائفها ومنتجاتها، عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ"[1].

إننا جميعًا نخرج إلى هذه الحياة بقلوب بديعة الصنع، لكنها خالية من العلوم والمهارات، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ

[1] رواه البخاري، ح٥٢، ومسلم، ح ٤١٧٨

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، ونحن مسؤولون عن تزكية وتهذيب وتدريب هذه الأدوات الكريمة الشريفة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[2].

إننا نرى كثيرًا من الجادّين يقضون وقتًا طويلًا في تكثير مهاراتهم وتقوية قدراتهم العضلية، فإذا اقتربت من بعضهم وجدته يشكو، ويتألم من أمور نفسيّة كثيرة ترهقه وتكدّر معيشته، وتحرمه من التنعم والاستمتاع بالطيبات، وتزداد آلامهم بازدياد أعمالهم ومشكلاتهم، فتكتشف أنهم فرّطوا في رعاية قلوبهم وتنمية قدراتها وتقويتها.

إن إهمال القلوب وتعطيل وظائفها داء خطير، وشرٌ مستطير، وقد ذمّ الله تعالى الغافلين، وتوعدهم فقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[3]، ولو تأمّلتَ في أحوال الناس لرأيت عجبًا، فكم من أجسام نحيلة تسكنها قلوب عامرة بالعزائم العظيمة والنور والسرور! وكم من أجساد جسيمة تحمل قلوبًا مشحونة بالظلمات والكدور والشرور!

---

[1] سورة النحل آية (٧٨)
[2] سورة الإسراء آية (٣٦)
[3] سورة الأعراف آية (١٧٩)

تكثير برامج تدريب القلوب:

إننا بحاجة إلى تكثير مراكز وبرامج تدريب القلوب على مهارات إنتاج السعادة والرضا والفرح بولاية الله تعالى ونعمه؛ لأن السعداء: أقدر على استثمار الموارد الحسنة والاستمتاع بالطيبات، وأصبر على الضراء واجتياز الصعاب والظروف الخشنة.

وأهمّ **مهارة** ينبغي أن ندرّب القلوب عليها هي مهارة الوصل والفصل أو الاتصال والانفصال، وأعمي بها وصل القلوب بالمسعدات وفصلها عن المنغّصات، فإذا اتصل القلب بمورد من موارد السعادة انشغل عن نقيضه، فسعد، وإذا اتصل بمنغّص تكدّر حاله، فمن اتصل بالله تعالى طاب حاله، وصلح باله، وسعد، ومن اتبع خطوات الشيطان تعس، وشقي.

مجالات الوصل والفصل:

المجال الأول: المعارف والتصوُّرات والأفكار، فالوصل بالطيّب منها يسعد ويَسُرّ، والوصل بالخبيث منها يشقي... يقول ابن القيم: "أما الخطرات فشأنها أصعب، فإنها مبدأ الخير والشر، ومنها تتولَّد الإرادات والهمم والعزائم، فمن راعى خطراته، ملك زمام

نفسه، وقهر هواه، ومن استهان بالخطرات قادته إلى الهلكات"[1].

المجال الثاني: المشاعر والانفعالات، فالوصل بالمشاعر والانفعالات الحسنة كالإخلاص والسماحة، والكرم **يسعد** القلوب، **وأما** المشاعر والانفعالات السيئة كالنفاق والحسد والبخل والجبن والأماني الباطلة فالوصل بها يشقي... يقول ابن القيم "ولا تزال الخطرات تتردد على القلب حتى تصير **منى باطلة** (أماني باطلة)، وهي أضرّ شيءٍ على الإنسان، ويتولَّد منها **العجز والكسل**، وتولِّد التفريط والحسرة والندامة"[2].

المجال الثالث: التصرَّفات والأفعال، فالوصل بالتصرفات والأفعال الحسنة كالصلاة والكلمة الطيبة، وإغاثة المحتاجين **يسعد، وأما** التصرفات والأفعال السيئة كالسرقة وفعل المنكرات، فالوصل بها يشقي، والنظر إلى المحرمات وإن كان كثير منه من الذنوب الصغيرة، فإنه يكدّر القلوب، ويرهقها، يقول ابن القيم: "وَالنَّظَرُ أَصْلُ عَامَّةِ الْحَوَادِثِ الَّتِي تُصِيبُ الْإِنْسَانَ، فَالنَّظْرَةُ تُوَلِّدُ خَطْرَةً، ثُمَّ تُوَلِّدُ الْخَطْرَةُ فِكْرَةً، ثُمَّ تُوَلِّدُ الْفِكْرَةُ شَهْوَةً، ثُمَّ تُوَلِّدُ الشَّهْوَةُ إِرَادَةً، ثُمَّ تَقْوَى فَتَصِيرُ عَزِيمَةً

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي، دار المعرفة – المغرب، ط١، ١٩٩٧م، ص ١٥٤ بتصرف.
[2] ابن القيم، الجواب الكافي، مرجع سابق، ص ١٥٤

جَازِمَةً، فَيَقَعُ الْفِعْلُ وَلَا بُدَّ، مَا لَمْ يَمْنَعْ مِنْهُ مَانِعٌ"[1]، فكيف بما هو شرّ من النظر الحرام؟

وعليه فإن تدريب القلوب على التحكُّم بهذه الأمور الثلاثة سبب عظيم للسعادة، فإذا تغيَّرت التصورات، تبدَّلت المشاعر والتصرفات، وإذا تبدَّلت المشاعر تعدَّلت التصورات والتصرفات، وتغيير بعضها يؤثّر في تغيير غيره سلبًا وإيجابًا.

تأمّل معي هذا النموذج الفريد من **الوصل**، إنه الانتقال من علم اليقين إلى ما يقارب عين اليقين؛ حتى يتنعم السامع بذكر الجنّة، فعَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ قَالَ قُلْتُ نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- قُلْتُ نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- وَمَا ذَاكَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ

[1] ابن القيم، الجواب الكافي، مرجع سابق، ص ١٥٣

لَـوْ تَـدُومُونَ عَلَـى مَـا تَكُونُـونَ عِنْـدِي وَفِـي الـذِّكْرِ لَصَـافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَـةُ عَلَــى فُرُشِــكُمْ وَفِــي طُــرُقِكُمْ وَلَكِــنْ يَــا حَنْظَلَــةُ سَــاعَةً وَسَــاعَةً ثَــلَاثَ مَرَّاتٍ"[1].

[1] رواه مسلم ح٤٩٣٧

مهارة وصل القلوب بالمُسعدات

الاستقامة وصل دائم بالمُسعدات، وهي سبيل السعادة المستدامة، وهذا ما أجمله ربنا سبحانه في سورة الفاتحة وفصّله تفصيلًا في كتابه الكريم، وبيّنه أتمَّ البيان رسولُنا عليه الصلاة والسلام في السنة، فالصراط المستقيم هو صراط المنعم عليهم، وهم السعداء.

ولو أن باحثًا قال لي: اجمع لي في سبع كلمات خلاصة ما قرأته وما اكتسبته من المعارف والتجارب في مجال علم النفس والتربية والدعوة والتنمية البشرية والمناقشات الفكريّة، لقلت له: "الاستقامة مورد الكرامة وسبيل السعادة والتنمية المستدامة"، فمن عمل لوجه الله تعالى سعد وأسعد، ومن اتبع هواه وشهوته شقي وأشقى، وما أجمل مقولة فقيه الإسعاد والإرشاد العلامة ابن القيم: "وَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ - وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ - لَيْسَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا، فَلَيْسَ لَهُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا مَا كَانَ فِيهِ بِاللَّهِ وَلِلَّهِ"[1].

إن كلّ الطاعات وكلّ صنائع المعروف موارِدُ للسعادة: التوبة والاستغفار والدعاء والدعوة إلى الخير والكلمة الطيبة والصدقات وإصلاح ذات البين والسلام والهدية والتبسم والرضا بما قسم الله تعالى وقضى، وغيرها كثير.

[1] ابن القيم، الجواب الكافي، مرجع سابق، ص ١٥٧

وصل القلوب بالله تعالى

ذكر الله تعالى مورد السعادة الدائم الذي لا ينقطع؛ حتى يقطعه انشغال، أو نسيان أو إعراض، قال الله تعالى:﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1]، وقال الله تعالى:﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[2]، قال الإمام ابن القيم: "وفي الذكر أكثر من مائة فائدة"، ثمّ سرد ثلاثًا وسبعين فائدة، وأنا أقطف لكم منها عنقودًا، فقد بيّن: "أن ذكر الله عز وجل من أكبر العون على طاعته، فإنه يحببها إلى العبد، ويسهلها عليه، ويلذذها له ويجعل قرة عينه فيها، ونعيمه وسروره بها بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل، والتجربة شاهدة بذلك، وأن ذكر الله عز و جل يذهب عن القلب مخاوفه كلها، وله تأثير عجيب في حصول الأمن، فليس للخائف الذي قد اشتدّ خوفه أنفع من ذكر الله عزّ وجلّ، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ويزول خوفه حتى كأن المخاوف التي يجدها أمان له، والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كلُّه مخاوف، ومن له أدنى حسّ قد جرب هذا وهذا، والله المستعان"، وذكر رحمه الله "أن الذكر يعطي الذاكر قوة حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظنّ فعله بدونه، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية في سننه وكلامه وإقدامه

[1] سورة ق آية (٣٧)
[2] سورة الرعد آية (٢٨)

وكتابه أمرًا عجيبًا، فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعه وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوته في الحرب أمرا عظيما"[1]، ومما يدلّ على هذا ما صحّ "عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ فَاطِمَةَ - عَلَيْهَا السَّلاَمُ - أَتَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَقَالَ أَلاَ أُخْبِرُكِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْهُ تُسَبِّحِينَ اللَّهَ عِنْدَ مَنَامِكِ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ وَتَحْمَدِينَ اللَّهَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ وَتُكَبِّرِينَ اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ ، ثُمَّ قَالَ سُفْيَانُ إِحْدَاهُنَّ أَرْبَعٌ وَثَلاَثُونَ - فَمَا تَرَكْتُهَا بَعْدُ قِيلَ ، وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينَ قَالَ ، وَلاَ لَيْلَةَ صِفِّينَ"[2]. فمن داوم على ذلك وجد من القوة ما يغنيه عن خادم.

و"أن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء، فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر والنعيم الذي يحصل لقلبه لكفى به، ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة، قال مالك بن دينار: وما تلذّذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل، فليس شيء من الأعمال أخفّ مؤنة منه ولا أعظم لذة ولا أكثر فرحة وابتهاجًا للقلب"[3].

[1] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الوابل الصيب من الكلم الطيب، دار الحديث - القاهرة، ط ٣، ١٩٩٩م، ص٧٦-٧٧.
[2] رواه البخاري، ح٥٣٦٢، ومسلم، ح ٤٩٠٦
[3] ابن القيم، الوابل الصيب من الكلم الطيب، المرجع السابق، ص ٨١.

الإيمان والعمل الصالح

الإيمان والعمل الصالح مجمع موارد السعادة، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[3].

فما أطيب العيش وأوسعه حين يذوق القلب لذة الإيمان! فعن الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أنه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- يَقُولُ: "ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا"[4]، ومن ذاق طعم الإيمان، فقد ذاق أحلى أنواع السعادة.

إن الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب يبثّ فيها طاقة هائلة، وعزمًا عظيمًا يحمل الإنسان على المسارعة في الخيرات

---

[1] سورة النحل الآية (٩٧)
[2] سورة المؤمنون الآيات (١)
[3] سورة الأنفال الآيات (٤-١)
[4] رواه مسلم ح٤٩

استدراكًا لما فات، وتوبة مما سلف من التفريط في جنب الله تعالى، فيعلو فوق الشهوات والأطماع والمخاوف، ومن أعجب القصص قصّة سحرة فرعون الذين انقلب حالهم في طرفة عين، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، لقد خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، وملأتها عزمًا ونورًا، عن عَبْد اللهِ بْن عَبَّاسٍ، قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ سَأَلْتُكَ هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَزَعَمْتَ أَنْ لاَ وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ لاَ يَسْخَطُهُ أَحَدٌ"[2]، فمن حسن إيمانه بالله تعالى، رضي بقضاء الله تعالى وقدره، فيصبر ويحتسب الأجر من الله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ

[1] سورة الأنعام الآية (٤١-٥١)
[2] رواه البخاريّ ح ٦

مِـنْ مُصِـيبَةٍ فِـي الْأَرْضِ وَلَا فِـي أَنْفُسِـكُمْ إِلَّا فِـي كِتَـابٍ مِـنْ قَبْـلِ أَنْ نَبْرَأَهَـا إِنَّ ذَلِـكَ عَلَـى اللَّهِ يَسِـيرٌ * لِكَـيْلا تَأْسَـوْا عَلَـى مَـا فَـاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1].

ومـن آمـن بـأن النفـع والضـر بيـد الله تعـالى، أمِـن، وسـلم مـن شـرور مثيـرات القلـق، وتوكّـل علـى الله تعـالى، وفـاض قلبـه طمأنينـة، ورضـًا وسـعادة؛ لأنـه يعلـم أن حياتـه بـين خيـرين، وحسـنيين كمـا ورد عَـنْ صُـهَيْبٍ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ -صَـلَّى الله عَلَيْـهِ وسَـلَّمَ-: "عَجَبًـا لِأَمْـرِ الْمُـؤْمِنِ إِنَّ أَمْـرَهُ كُلَّـهُ خَيْـرٌ وَلَـيْسَ ذَاكَ لِأَحَـدٍ إِلَّا لِلْمُـؤْمِنِ إِنْ أَصَـابَتْهُ سَـرَّاءُ شَـكَرَ فَكَـانَ خَيْـرًا لَـهُ وَإِنْ أَصَـابَتْهُ ضَـرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ"[2].

وقـد ذكـر دايـل كـارنيجي[3] قصـة "بـودلي" مؤلـف كتـاب: "ريـاح علـى الصـحراء"، فقـال: "يقـول بـودلي: فـي عـام (١٩١٨) ولَّيـت ظهـري العـالمَ الـذي عرفتـه طيلـة حيـاتي، ويمّمـت شـطر أفريقيـا الشـمالية الغربيـة، حيـث عشـت بـين الأعـراب فـي الصـحراء، وقضـيت هنـاك سـبعة أعـوام، وقـد تعلمـت مـن عـرب الصـحراء كيـف أتغلـب علـى القلـق؛ فهـم بوصـفهم مسـلمين يؤمنـون بالقضـاء والقـدر، وقـد سـاعدهم هـذا الإيمـان علـى العـيش فـي أمـان، وأَخْـذِ الحيـاة مأخـذاً سـهلاً هَيِّنَـاً، فهـم لا يتعجلـون أمـرًا، ولا يلقـون بأنفسـهم

[1] سورة الحديد الآيتان (٢٢-٢٣)
[2] رواه مسلم ح٥٣١٨
[3] كارنيجي، ديل، دع القلق وابدأ الحياة، ص٢٩١_٢٩٥.

بين براثن الهمّ قلقاً على أمر. إنهم يؤمنون بأن ما قُدِّر يكون، وأن الفرد منهم لن يصيبه إلا ما كتب الله له. وليس معنى هذا أنهم يتواكلون أو يقفون في وجه الكارثة مكتوفي الأيدي، كلاَّ. ثم أردف قائلاً: ودعني أضرب لك مثلاً لما أعنيه: هَبَّتْ ذات يوم عاصفةٌ عاتيةٌ حملت رمال الصحراء وعبرت بها البحر الأبيض المتوسط، ورمت بها وادي (الرون) في فرنسا، وكانت العاصفة حارةً شديدةِ الحرارة، حتى أحسست كأن شعر رأسي يتزعزع من منابته؛ لفرط وطأة الحرّ، وأحسست من فرط القيظ كأنني مدفوع إلى الجنون. ولكنَّ العربَ لم يشْكُوا إطلاقاً، فقد هزوا أكتافهم، وقالوا كلمتهم المأثورة: "قضاء مكتوب".

لكنهم ما إن مرت العاصفة؛ حتى اندفعوا إلى العمل بنشاط كبير، فذبحوا صغار الخراف قبل أن يودي القيظ بحياتها، ثم ساقوا الماشية إلى الجنوب نحو الماء. فعلوا هذا كله في صمت وهدوء، دون أن تبدو من أحدهم شكوى.

قال رئيس القبيلة: لم نفقد الشيء الكبير؛ فقد كنا خليقين بأن نفقد كلّ شيء، ولكن حمداً لله وشكراً؛ فإن لدينا نحو أربعين في المائة من ماشيتنا، وفي استطاعتنا أن نبدأ عملنا من جديد، ثم قال هذا الغربيّ: قد أقنعتني الأعوام السبعة التي قضيتها في الصحراء بين الأعراب الرُّحل أن الملتاثين، ومرضى النفوس، والسِّكِّيرين الذين تحفل بهم أمريكا وأوروبا ما هم إلا ضحايا المدنية التي

تتخـذ السـرعة أساسـاً لهـا"، **قلـت: بـل لأنهـم فقـدوا الإيمـان بـالله تعالى، واتبعوا خطوات الشيطان!**

الصلاة قرّة أعين السعداء

لقد أمرنا الله تعالى بالاستعانة بالصلاة لما فيها من تهذيب القلوب وتخليتها مما يكدرها، وتدريبها على الترقّي في مدارج الخشوع والصلة بعلّام الغيوب، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1]، وقد امتثل رسولنا عليه الصلاة والسلام، هذا الأمر، فـ"كان إذا حزبه أمر صلى"[2]، "فَالصَّلَاة قُرَّة عُيُون المحبين فِي هَذِه الدُّنْيَا لما فِيهَا من مُنَاجَاة مَن لَا تقر الْعُيُونُ وَلَا تطمئِن الْقُلُوبُ وَلَا تسكن النُّفُوسُ إِلَّا إِلَيْهِ، والتنعم بِذكرِهِ والتذلل والخضوع لَهُ والقرب مِنْهُ وَلَا سِيمَا فِي حَال السُّجُود، وَتلك الْحَال أقرب مَا يكون العَبْد من ربه فِيهَا، وَمن هَذَا قَول النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يَا بِلَال أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ فَأعْلم بذلك أَن رَاحَته صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي الصَّلَاة كَمَا أخبر أَن قُرَّة عينه فِيهَا فَأَيْنَ هَذَا من قَول الْقَائِل: نصلي ونستريح من الصَّلَاة!

فالمحب رَاحَته وقرة عينه فِي الصَّلَاة، والغافل المعرض لَيْسَ لَهُ نصيب من ذَلِك، بل الصَّلَاة كَبِيرَة شاقة عَلَيْهِ إِذا قَامَ فِيهَا كَأَنَّهُ على الْجَمْر حَتَّى يتَخَلَّص مِنْهَا"[3]، ويبلغ أثر الصلاة في القلوب

---

[1] سورة البقرة آية (١٥٣)

[2] رواه أبو داوود، ح١٣٢١، وحسنه الألباني.

[3] ابن القيم، محمد بن أبي بكر، رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، مطابع الشرق الأوسط - الرياض، ط١، ١٤٢٠ه، ص٣٣

الدرجة العليا حين تؤدّى بإحسان، والإحسان كما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"[1].

الشكر

الشكر من أعظم موارد السعادة، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[2]، ربّ لا تكلني إلى نفسي طرفة عين! فأكفر نعمك، وتنزل بي نقمك!

تتنزل على كلّ إنسان منا ما لا يحصى من النعم، ولو أن الناس جميعًا أحصوا النعم التي تتنزل على أتعس وأبأس إنسان في الدنيا لما استطاعوا.

ثمّة صلة وثيقة بين السعادة بالنعم وبين ذكرها وشكرها، فمن كان أحسن ذكرًا وشكرًا كان أسعد، فحينما يتصل القلب بالله تعالى يبصر فيض النعم التي يجريها الله تعالى عليه، فتتفجر عيون السعادة العميقة؛ حتى يفيض القلب بالرضا والفرح بما هو موجود من النِّعم صغيرها وكبيرها.

---

[1] رواه البخاريّ، ح٥٠، ومسلم ح٩.
[2] سورة الأحقاف الآية (١٥)

وهذا النوع من السعادة والفرح يقلّ حينما يغفل الإنسان عمّا يتقلب فيه من النعم، فإذا فتَّشت عنه، وجدته مطمورًا تحت ركام النسيان، ورماد الحسرات على المفقود أو جمر الشوق إلى المنشود، والإنسان إذا نسي النعمة ترك شكرها، وحُرم لذة السرور بها، واحترق قلبه في طلب المنشود والمفقود، ولا يكاد يشعر بالنعم الموجودة إلا من كان شكورًا، أو فقدها فكان بها بصيرًا، أو فاتته، فندم وتحسّر، أو شاهد الذين فقدوها، فادّكر واعتبر، فمن رضي بالموجود ولم يسخط، رضي الله عنه وأسعده، ومن سخط وكَفَرَ، سخط الله عليه وأبعده، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ-، أَنَّهُ قَالَ: "عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاَءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ"[1].

وقد أمر الله تعالى عباده بذكر نعمه وشكرها، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿وَاشْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[3]، وقد أوصى رسولُنا -صلى الله عليه وسلم- صحابَته بذلك، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: "يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّى لأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّى لأُحِبُّكَ ". فَقَالَ: "أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِى دُبُرِ كُلِّ

[1] الترمذيّ، سنن الترمذيّ ح٤٠٣١، صححه الشيخ الألباني

[2] سورة فاطر الآية (٣)
[3] سورة النحل الآية (١١٤)

صَلاَةٍ تَقُولُ اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"[1]، وأمرنا أن نستفتح يومنا الجديد بذكّر هذا الصنف الجليل من النعم وأن نحمد الله تعالى عليه، فقال: "إِذا اسْتَيْقَظَ فَلْيقل الْحَمد لله الَّذِي عافاني فِي جَسَدِي، ورد عَليّ روحي، وَأذن لي بِذكرِهِ"[2]، فكم من نائم لم يستيقظ، ولم تردّ عليه روحه، وكم من مستيقظ أفاق على شقّ مشلول وبدن غادرته العافية، وكم من مستيقظ لم يؤذن له بذكر الله تعالى!

وأمهات هذه النعم في الحياة الدنيا: نعمة اتباع الهدى ودين الحقّ، ونعمة الحياة، ونعمة العافية، ونعمة العقل والعلم، ونعمة العفاف والزوجة الصالحة والولد البارّ، ونعمة الأمن والرزق الحلال.

الشاكر في مزيد دائم:

الشاكر ينظر إلى الجانب المليء بالنعم في حياته، فهو ناظر إلى المفرحات والمسعدات والمؤنسات يتذكّر المكارم والنعم فيتلذّذ بها، ويشكر فيزداد من فضل الله تعالى، ويزداد بهجة ونضرة وسرورًا، قال ربنا عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[3]، ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[4]... والكافر جاحد يتقلّب في أجواء المآسي

---

[1] رواه أبو داوود، في السنن، ح١٥٢٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح٧٩٦٩.
[2] رواه النسائي، في السنن الكبرى، ح ١٠٧٠٢، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ح٧١٦.
[3] سورة إبراهيم الآية (٧)
[4] سورة النساء الآية (١٤٧)

والمحزنات، ويتعذّب بالمبكيات والموجعات... فهو في نقصان، وعذاب، نسوا الله فنسيهم! فعذّبهم بالأحزان، والهموم، والغموم، والمخاوف؛ لأنهم لم يشكروا نعم الله تعالى، قال ربنا عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1].

[1] سورة إبراهيم الآية (٧)

السعادة لا تفارق بيوت الشاكرين:

من سنن المرسلين عليهم السلام العنايةُ بالأسر والبيوت؛ لتكون مستقرًّا للسعادة، عامرة بالمودّة والرحمة، فقد رعوها حقّ رعايتها، فتأمّل فيما ورد في صحيح البخاريّ عن ابن عباس أن النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أخبرهم بما وقع لإسماعيل عليه السلام في مكّة، قال: "وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ مَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ. فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ نَعَمْ جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ قَالَتْ نَعَمْ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلاَمَ وَيَقُولُ: "غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ". قَالَ ذَاكِ أَبِي وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا قَالَ كَيْفَ أَنْتُمْ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ وَأَثْنَتْ عَلَى اللهِ فَقَالَ مَا طَعَامُكُمْ قَالَتِ اللَّحْمُ قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ قَالَتِ الْمَاءُ، فَقَالَ:

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ قَالَ فَهُمَا لاَ يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلاَّ لَمْ يُوَافِقَاهُ قَالَ فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلاَمَ وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ نَعَمْ أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ قَالَ فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ قَالَتْ نَعَمْ هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلاَمَ وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ قَالَ ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ"[1]. لقد استحقّت هذه المرأة الشاكرة الذاكرة أن تنال رتبة راعية بيت الرسول إسماعيل عليه الصلاة والسلام وأن تكون أُمًّا لذريّته المباركة.

إن شكر الناس سبب لنيل المزيد، وهو مؤشرٌ إيمانيّ يدلّ على شكر الله تعالى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ"[2].

البيت الشاكر بيت سعيد لا ييأس ولا يتعس، ينعم أهله بالسعادة المتزايدة... فاملأ بيتك شكرًا.

---

[1] رواه البخاريّ ح٣٣٦٤

[2] رواه أحمد في المسند، ح٧٩٢٦ قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، ورواه أبو داوود، ح٤٨١٣، والترمذيّ، ح ١٩٥٤وصححه الألباني.

اصنع المعروف شكرًا لله تعالى:

ثمة نفوس **تجحد المعروف وتنكر الجميل**، فقابلها بالإحسان لوجه الله تعالى؛ لتنال خير الدنيا والآخرة. شكا أحدهم أهلَ بيته، فقال: إن امرأته لا تكاد تشكر معروفًا، أو تذكر إحسانًا... فقال له صاحبه: إن كنت تبتغي بما تصنعه لزوجتك وجهَ الله تعالى، فقد حصل مطلوبك، ولا يضرّك نكرانها كما قال الله تعالى عن المخلصين: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[1]، فتبسّم الرجل قائلًا: كأني أسمع الآية أول مرة! لقد زحزحت عن قلبي جبلًا من الضيق، وحببت إلي صنع المعروف لوجه الله تعالى، وأسعدتني أسعدك الله تعالى! لقد كاد الغضب أن يدمّر أسرتي ويهدم بيتي!

[1] سورة الإنسان الآية (٩)

الكلمة الطيّبة:

الكلمة الطيبة مفتاح خزائن السعادة الدائمة. وآثار الكلمات الطيبات في الحياة لا تحصى! رُبَّ كلمة طيّبة بتوفيق من الله تعالى غيرت حياة أمة! وربّ كلمة خبيثة أوقدت نار حرب، وشتت شمل شعب.

لقد أمر الله تعالى المؤمنين بقول القول السديد الذي يحقق المصلحة من غير أذى ولا فساد، فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[1]، والقول السديد: هو القول المستقيم الذي ليس فيه اعوجاج ولا انحراف[2]، وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام -وأمته داخلة تبعا في الخطاب- بالدعوة والإرشاد بالحكمة والسداد، فقال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3]؛ ليحقق مقاصد الرحمة التي أرسله الله تعالى بها قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[4]، فقام الرسول عليه الصلاة والسلام في الناس مبشّرًا ومنذرًا وميسّرًا، معصومًا من التنفير والتعسير؛ فكان رحمة للعالمين. إن زيادة منسوب الكلمات الطيبة بين الناس ترفع من منسوب الأمن والإيمان والسعادة والسلام في المجتمع.

---

[1] سورة الأحزاب الآية (٧٠)
[2] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج٦/٤٨٧
[3] سورة النحل الآية (١٢٢)
[4] سورة الأنبياء الآية (١٠٧)

مهارة فصل القلوب عن المنغِّصات:

الحياة الدنيا فيها الطّيب والخبيث، والمسعدات والمنغِّصات، وفيها لذّات وآلام، والعاقل من اتصل بالطيّبات والمسعدات، وانفصل عن الخبائث والمنغّصات، وتنقسم المنغصات إلى قسمين:

القسم الأول: المنغصات التي تحصل بسبب مخالفة الشرع كثيرة، وذلك بالوقوع فيما حرمه الله تعالى من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، وهي كبائر وصغائر، وفساد الكبائر عريض، وضررها في الدنيا والآخرة مستطير، وأخبث الكبائر الشرك بالله تعالى، ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ"[2]، وأما صغائر المنغصات فإنها أهون ضررًا من الكبائر وأقلّ تنغيصًا.

---

[1] سورة الأعراف الآية (٣٣)

[2] رواه البخاريّ، ح٢٧٦٦، ومسلم ح١٢٩.

القسم الثاني: المنغصات الكونية كلّ ما سبب ضررًا في الأنفس والأموال والبيئة كنقص الطعام والشراب والأمراض والحرائق والكوارث الطبيعيّة وغيرها، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[1].

إن مقادير المنغِّصات التي يتلقاها الإنسان المعاصر مباشرة أو بصورة غير مباشرة كثيرة لا تكاد تحصى، ولا بدّ للعاقل من أن يتأهب لمواجهة الشرور ودرء المنغّصات والمثيرات المفاجئة والمباغتة، وإبطالها، وتفريغ المشاعر التي ترهقنا، وتمرض قلوبنا وأجسامنا، وتقيّدها بقيود الهمّ، والحزن، القلق، والغمّ.

[1] سورة البقرة الآية (١٥٥)

الاستعانة والاستعاذة بالله تعالى

لقد أمرنا الله تعالى بالتعوّذ من المنغّصات كلّها، وسورة الفلق وسورة الناس هما المعوِّذتان من شرور الخلق أجمعين ومن شرور الشياطين خاصّة.

وقد تعوّذ رسولنا عليه الصلاة والسلام من الشرور كلها، ومن ذلك المنغّصات **الثمانية** الشائعة، فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: لأَبِي طَلْحَةَ الْتَمِسْ غُلاَمًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ مُرْدِفِي وَأَنَا غُلاَمٌ رَاهَقْتُ الْحُلُمَ فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ ثُمَّ قَدِمْنَا خَيْبَرَ"[1]، فهذه المنغصات تستهلك مخزون السعادة.

[1] رواه البخاريّ ح ٢٨٩٣

الاستعداد لدفع المنغّصات قبل وقوعها:

كان رسولنا عليه الصلاة والسلام يحذّر أصحابه؛ ليتأهّبوا لدرء الشرور والمنغّصات، فعن أَبي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ. قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ. قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ. قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ، قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ"[1].

[1] رواه البخاريّ، ح٣٦٠٦، ومسلم ح٣٤٣٤.

التعوّذ من الشيطان صانع الفتن:

لا يذكر علماء النفس الغربيّون الشيطان ولا شروره في تقرير نظريّاتهم؛ لأنهم لا يرونه، ولا يؤمنون بالغيب، وقد قرأت كثيرًا من كتب علم النفس للباحثين المسلمين، فلم أجدهم يهتمون بكيد الشيطان.

ولا يزال الشيطان وأولياؤه يشحنون الواقع بما يضلّ الناس، ويشقيهم، ويفتنهم عن أقوم سبل تحصيل السعادة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾[2]، و قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[3].

وقد أسكن اللهُ تعالى أبانا آدمَ عليه السلام وزوجه حواء دار السعادة حين كانا على أصل الفطرة المطهرة من أدران العصيان، وقد ذاقا في الجنة ألوانًا كثيرة من اللذات، وسعِدا فيها سعادة لا توصف، وتنعّما بنعيمها رَدَحًا من الزمن؛ حتى ارتكبا المحظور، وسلكا مسلك الشقاء، قال الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَاآدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا

[1] سورة طه الآيات (١١٦-١١٧)
[2] سورة الأعراف الآية (٢٧)
[3] سورة المجادلة الآية (١٠)

تَجُــوعَ فِيهَــا وَلَا تَعْــرَى * وَأَنَّــكَ لَا تَظْمَــأُ فِيهَــا وَلَا تَضْــحَى * فَوَسْوَسَ إِلَيْـهِ الشَّـيْطَانُ قَـالَ يَـاآدَمُ هَـلْ أَدُلُّـكَ عَلَـى شَـجَرَةِ الْخُلْـدِ وَمُلْـكٍ لَا يَبْلَـى * فَـأَكَلَا مِنْهَـا فَبَـدَتْ لَهُمَـا سَـوْآتُهُمَا وَطَفِقَـا يَخْصِـفَانِ عَلَيْهِمَـا مِـنْ وَرَقِ الْجَنَّـةِ وَعَصَـى آدَمُ رَبَّـهُ فَغَـوَى﴾[1]، فلمـا اسـتجابا لوسوسـة الشـيطان، وهـو أعظـم أسـباب الضـلال والشـقاء، أُخرِجـا مـن دار السـعادة بالإضـلال (زوال العلـم) وبـالإزلال (فسـاد العـزم والوقـوع فـي الزلـل)، لقـد أُخرجـا مـن الجنـة، وقلوبهمـا تفـيض شـوقًا وحنينًـا إلى تلك الدار، وقد ذاقا ما ذاقا من ألم فراق النعيم!

لقـد جـرت عليهمـا سـنة الله تعـالى فـي الإسـعاد والإبعـاد، كمـا جـرت علـى عـدوهما الشـيطان الـرجيم مـن قبـل، فحينمـا كـان إبلـيس طائعًـا كـان مكرَّمًـا منعّمًـا مقـدَّمًا، فلمـا فَسَـقَ عـن أمـر ربّـه جـرت عليـه سـنة الإبعاد، فشقي.

أمـا آدم عليـه السـلام فقـد تـاب هـو وزوجـه، فأدركتهمـا رحمـة الله تعـالى، فتـاب الله عليهمـا، فلـم يهبطـا إلـى الأرض إلا وقـد بـيّن الله تعـالى لهمـا سـبيل السـعادة فـي الـدنيا، ووسـيلة الرجـوع إلـى دار الحبـور والسـرور الـدائم، فقـال الله تعـالى: ﴿قَـالَ اهْبِطَـا مِنْهَـا جَمِيعًـا بَعْضُـكُمْ لِـبَعْضٍ عَـدُوٌّ فَإِمَّـا يَـأْتِيَنَّكُمْ مِنِّـي هُـدًى فَمَـنِ اتَّبَـعَ هُـدَايَ فَـلَا

[1] سورة طه الآيات (١١٧-١٢١)

يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[1].

[1] سورة طه الآيتان (١٢٣-١٢٤)

من وسائل الشيطان في التنغيص والتكدير:

الشيطان ماهر في التكدير وتدمير السعادة وصناعة الفتن والشرور والفساد، ووسائله كثيرة، وقد بيّن الله تعالى كيد الشيطان، وفصل لنا الرسول -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- ذلك الشرّ تفصيلًا، وسأذكر نبذة من ذلك.

النزغ والوسوسة:

وهو إثارة الشيطان قلبَ الإنسان بما يوقد فيه من نار الشهوات والشبهات؛ ليوقعه في الشرّ والفساد[1]، قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، وقد ذكر الله تعالى في الآية الداء والدواء، فالنزغ هو الداء، والاستعاذة بالله تعالى العلاج.

التحريش[3] بين الناس:

وهو نوع من النزغ لإفساد ذات البين، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾[4]، وعَنْ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ

---

[1] قال: محمد رشيد رضا: النزغ: كالنسغ والنغز والنخس والنخز والنكز والوكز والهمز ألفاظ متقاربة المعنى، وأصله إصابة الجسد برأس شيء محدد كالإبرة والمهماز والرمح أو ما يشبه المحدد كالإصبع، والمراد من نزغ الشيطان إثارته داعية الشر والفساد في غضب أو شهوة حيوانية أو معنوية، بحيث تقحم صاحبها إلى العمل بتأثيرها، كما تنخس الدابة بالمهماز لتسرع.

[2] سورة الأعراف الآية (٢٠٠)

[3] وأصله: جعل الشيء خشنًا، والخشونة تؤذي وتنفّر وتمنع التقارب.

[4] سورة الإسراء الآية (٥٣)

النَّبِيَّ -صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ- يَقُولُ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ"، وما يجري اليوم في اليمن وكثير من دول المسلمين أكثره من نزغ الشيطان وتحريشه، والإعلام اليوم يمارس النزغ والتحريش بطريقة احترافية.

والفُتون فنون، ومن ذلك **مخالفة الفطرة**، وقد وقع المحرفون لدين الله في ذلك، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ كَمَا تُنْتِجُونَ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا"[1].

ورواد الثقافة الوضعيّة الماديّة مخالفاتهم كثيرة للشرع والفطرة، فاستحلّوا محارم الله تعالى ودمّروا الفطرة، فأحلّوا الكفر والإلحاد، والشذوذ؛ فزوّجوا الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة! فزادهم الله تعالى شقاء وضلالًا.

والمنغصات المنتشرة في الأرض ناجمة عن مخالفة الدين ومضادّة السنن الكونية، وقد أمرنا الله تعالى بالعياذ به منها جميعًا: قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[2]، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ *

[1] رواه البخاريّ، ح٦٥٩٩، ورواه مسلم ح٤٨٠٣ دون "حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا".
[2] سورة الفلق

مَلِـكِ النَّـاسِ * إِلَـهِ النَّـاسِ * مِـنْ شَـرِّ الْوَسْـوَاسِ الْخَنَّـاسِ * الَّـذِي يُوَسْـوِسُ فِـي صُـدُورِ النَّـاسِ * مِـنَ الْجِنَّـةِ وَالنَّـاسِ﴾[1]، وقـد خـتم الله تعالى كتابه بالمعوّذتين لحِكَمٍ بالغة.

إن المعـوّذتين حِـرْز ربّـاني مـن شـرور الخلائـق الظـاهرة والباطنـة، وهما شفاء لما في الصدور.

[1] سورة الناس

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: فقد تجلّى في هذا الدليل الموجز أن لدى قلوبنا قدرات عظيمة على الترقّي في درجات السعادة والرضا باستثمار موارد القرآن والسنة؛ لننافس الصدّيقين والمقربين، ونسابق العلماء الربّانيين ذكرًا وشكرًا وسعادة وفلاحًا!

وتنيّن لنا أننا نعيش مرحلة جديدة وأننا بحاجة إلى أن نجدّد فقهنا للدين القيّم، وأن نطوّر قدراتنا على استثمار موارد السعادة والرضا؛ لنتمكّن من إمداد الناس بالمعارف والقيم والمهارات؛ لنسعد جميعًا بالإسلام.

تالله إن أكثر الناس لفي خسر نفسيّ وحسّيّ عظيم كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[1]، وإننا معاشر الدعاة لمسؤولون عن هذا المنهاج وعن تبليغه.

[1] سورة العصر الآيات (١-٣)

"اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَبِيدُ وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ[1]، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَأَسْأَلُكَ الشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بزينة الْإِيمَان واجعلنا هداة مهتدين"[2].

والحمد لله ربّ العالمين.

[1] عَنْ جَدِّهِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ اسْتِخَارَتُهُ اللَّهَ، وَمِنْ سَعَادَةِ ابْنِ آدَمَ رِضَاهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ تَرْكُهُ اسْتِخَارَةَ اللَّهِ، وَمِنْ شِقْوَةِ ابْنِ آدَمَ سَخَطُهُ بِمَا قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ"، رواه أحمد ح١٤٤٤ وحسنه ابن حجر في الفتح ج١١/١٨٤، وضعفه الألباني وشعيب الأناؤوط.

[2] رواه النسائي وابن حبان وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ح١٩٦٨.